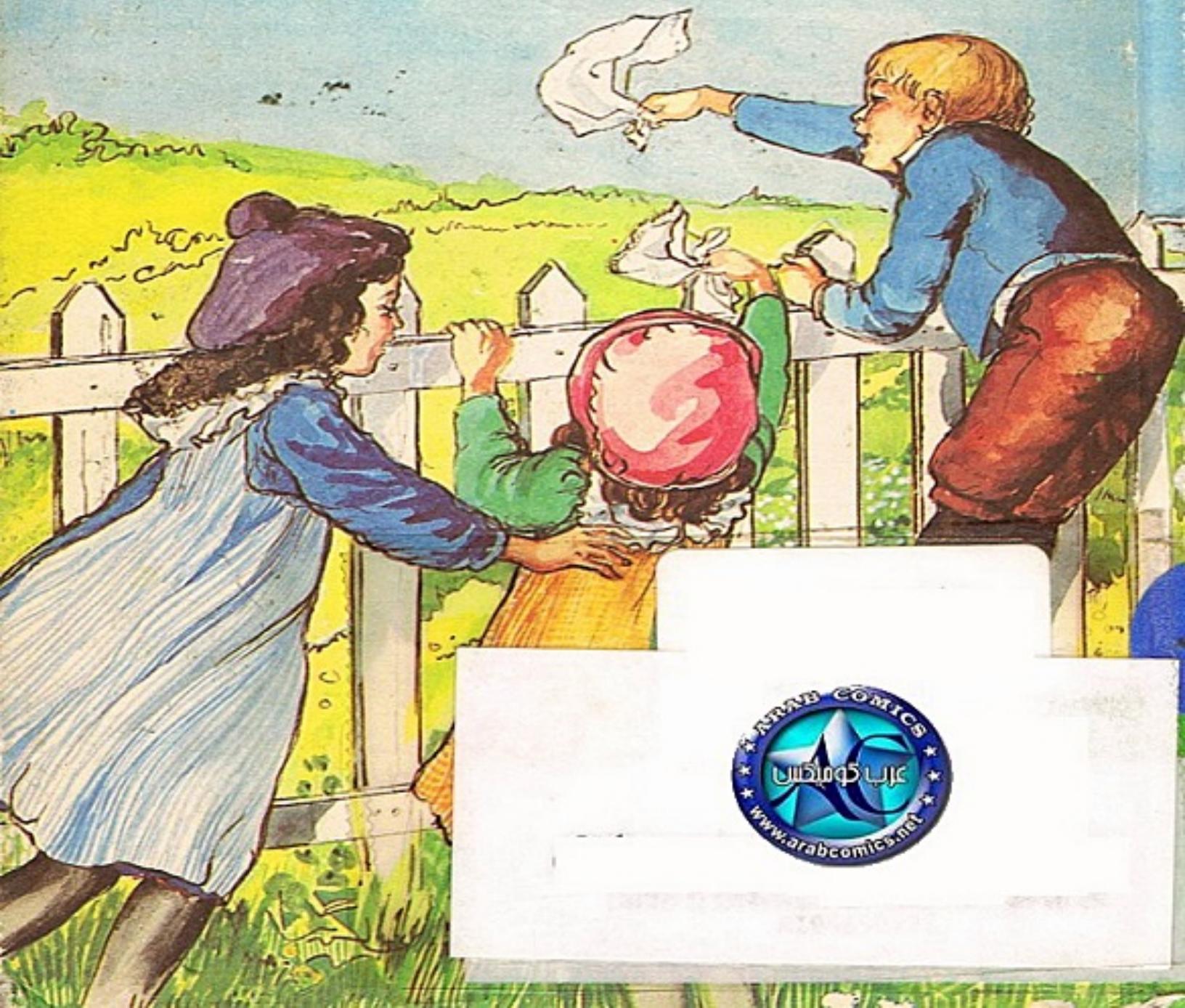
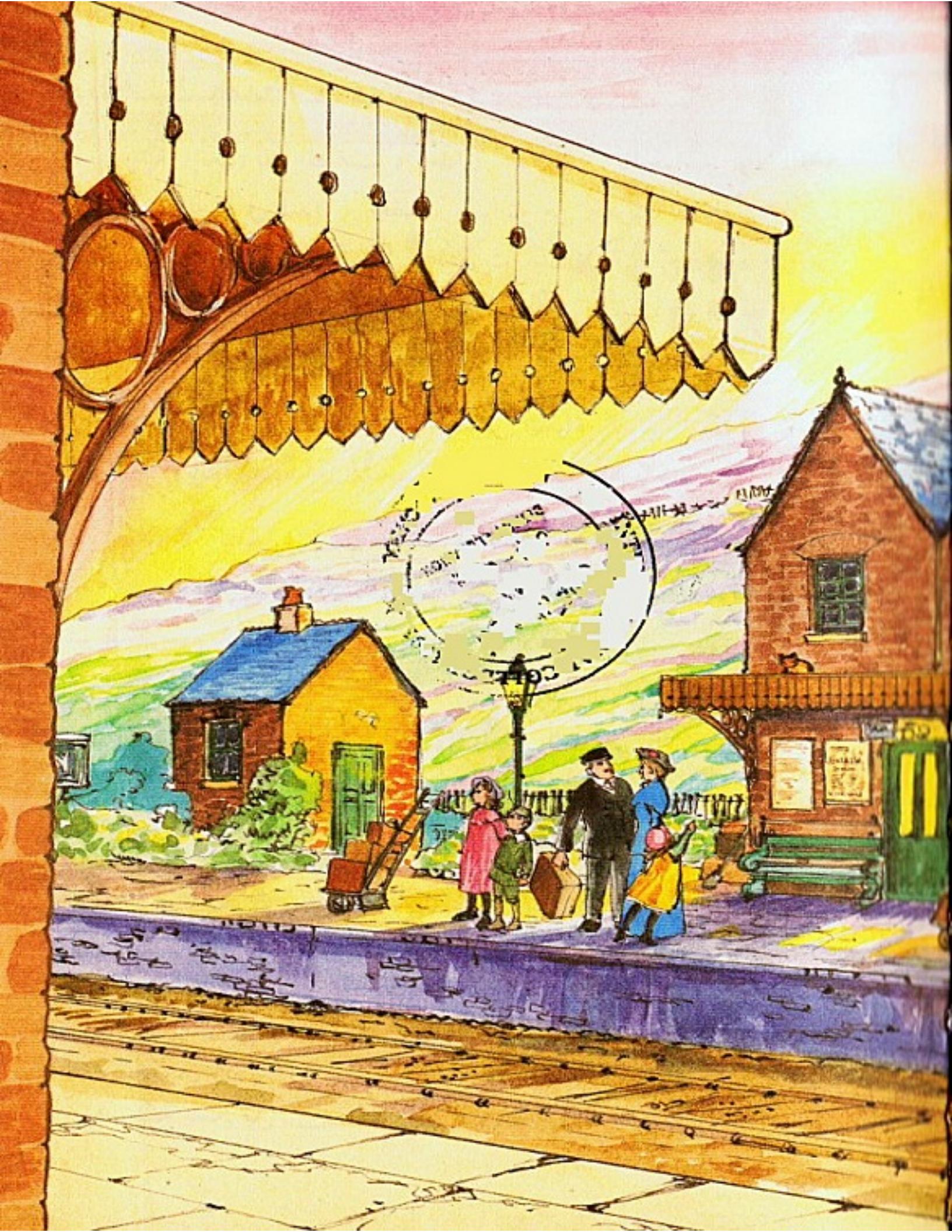




الأَوْلَادُ وَالْقِطَانَار



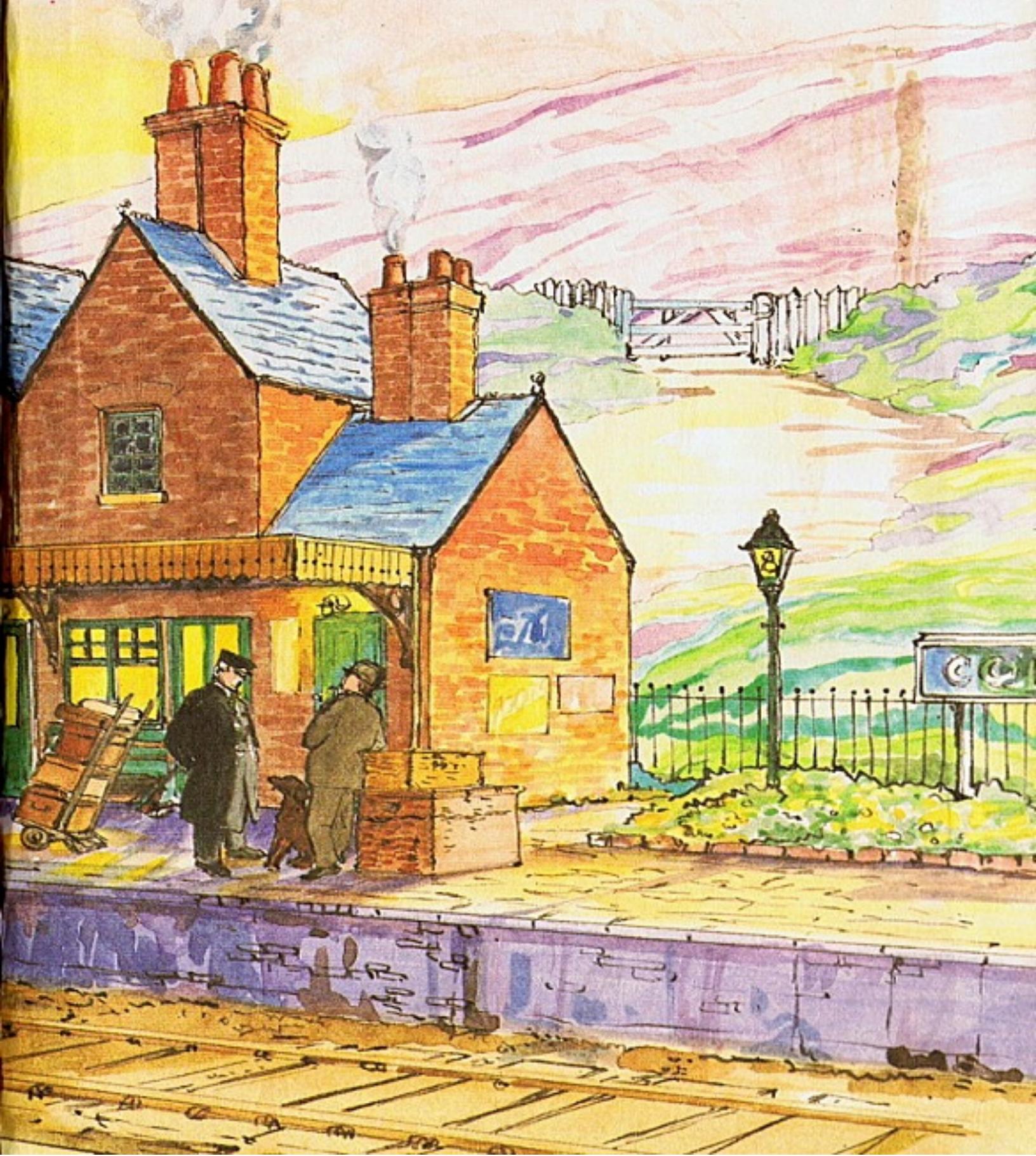


مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابط بديل





الأولاد والقطار

لطف الدين

إعداد : الدكتور أبیر مظلّق
عن قلم : إديث نسبیت
رسم : کاثي ليفيلد



رِوَايَةً إِنْكِلِيزِيَّةً اَتَصَفَتْ ، طَوَالَ حَيَاتِهَا ، بِالْحَمَاسَةِ وَالْاِنْدِفاعِ وَالْكَرَمِ . وُلِدَتْ فِي لَندَنَ ، وَقَضَتْ سَنَوَاتٍ مِنْ طُفُولَتِهَا فِي فَرَنْسَا وَالْأَنْجِيَا حَيْثُ تَلَقَّتْ جَانِبًا مِنْ تَعْلِيمِهَا . اِشْتَهَرَتْ بِكِتَبِهَا الَّتِي كَانَ اَبْطَالُهَا مِنَ الْأَوْلَادِ . وَبَدَأَ اسْمُهَا يَلْمُعُ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ عِنْدَمَا نَشَرَتْ فِي الْعَامِ ١٨٩٩ كِتَابَهَا « قِصَّةُ الْبَاحِثِينَ عَنِ الْكَتَزِ » .

إِمْتَازَتْ بِقُدْرَتِهَا الفَائِقةِ عَلَى تَصْوِيرِ الْحَيَاةِ الْعَائِلِيَّةِ تَصْوِيرًا نَابِضًا بِالْحَيَاةِ ، وَبِإِثْرِهَا إِبْدَاعَ الشَّخْصِيَّاتِ عَلَى وَضْعِ الْحَبَّكَاتِ .

أَصْدَرَتْ كِتَابَهَا ، الَّذِي نُقَدِّمُهُ الْيَوْمَ إِلَى الْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ ، فِي الْعَامِ ١٩٠٦ . وَفِي الْكِتَابِ « بُطْوَلَاتٌ نَابِضَةٌ بِالْحَنَانِ ، وَمُغَامَرَاتٌ مُشَوَّقَةٌ يَزِيدُهَا تَشْوِيقًا الرُّسُومُ الْمُلُوَّنَةُ الرَّائِعَةُ » .

سلسلة «القصص العالمية»

- | | |
|---|--|
| ٩ - كُتُوزُ الْمَلِكِ سُلَيْمَان | ١ - جَزِيرَةُ الْكَتَزِ |
| ١٠ - حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا | ٢ - أُسْرَةُ روِينْسُونِ السُّوِسِيرِيَّةِ |
| ١١ - أَنْشُودَةُ الْعِيدِ | ٣ - الْحَدِيقَةُ السُّرِّيَّةُ |
| ١٢ - الرَّيْحُ وَالصَّفَصَافُ | ٤ - رَحْلَةُ إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ |
| ١٣ - الْأَمْيُرُ السَّعِيدُ | ٥ - قِصَّةُ مَدِيَتَيْنِ |
| ١٤ - جَزِيرَةُ الْأَحْلَامِ | ٦ - الْعَالَمُ الْمَفَقُودُ |
| ١٥ - الْمُحَارِبُ الْأَخِيرُ | ٧ - الْفُرْسَانُ الْثَّلَاثَةُ |
| ١٦ - الْأَوْلَادُ وَالْقِطَاعُ | ٨ - شَيْخُ باسْكِرْفِيل |



ظلَّ الْأَوْلَادُ هادِئِينَ وَلَمْ يَطْرَحُوا أَسْئِلَةً ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ ذاكَ كَانَ شَاقاً عَلَيْهِمْ . وَأَدْرَكَتْ بَابِي أَنَّ خَطْبًا مُفَاجِئًا أَلَمْ يَأْسِرَهُ أَحْزَنَ أُمَّهَا ذَلِكَ الْحُزْنُ كُلَّهُ .

وَقَالَتْ فِيلِيسُ : « كُنْتِ تَقُولِينَ إِنَّ الْحَيَاةَ مُمِلَّةً ، لَا تَحْدُثُ فِيهَا الْمُفَاجَاتُ الَّتِي نَقْرَأُ عَنْهَا فِي الْكُتُبِ . أُنْظُرِي الْآنَ مَا جَرَى ! » أَجَابَتْ بَابِي : « لَمْ أَكُنْ يَوْمًا أَرْغَبُ فِي مُفَاجَأَةٍ تَجْعَلُ أُمِّي تَعِيسَةً . مَا أَصْبَعَ هَذِهِ الْحَالَ ! »

بِدَايَةُ الْحِكَايَةِ

يَخْسُنُ بِنَا أَنْ نَبْدَأُ مُوَضِّحِينَ أَنَّ الْأَوْلَادَ الَّذِينَ يَرْوِي هَذَا الْكِتَابُ قِصَّتَهُمْ ، لَمْ يَكُونُوا يَعِيشُونَ فِي جِوارِ مَحَاطَةٍ لِلْقِطَارَاتِ . كَانُوا يَعِيشُونَ مَعَ وَالِدَيْهِمْ فِي إِحْدَى ضَواحِي لَندَنَ ، وَيَسْكُنُونَ بَيْتًا مَبْنِيًّا مِنَ الْأَجْرِ الْأَحْمَرِ ، مُجَهَّزًا بِوَسَائِلِ الرَّاحَةِ ، وَمَزَيَّنًا ، فِي بَعْضِ أَجْزَائِهِ ، بِالْزُّجَاجِ الْمُلَوَّنِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَرْكَبُونَ الْقِطَارَ إِلَّا حِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى حَدِيقَةِ الْحَيَوانِ أَوْ مُتَحَفِّ الشَّمْعِ .

كَانُوا ثَلَاثَةً . الْكُبْرَى بَابِي ، وَلَعَلَّهَا كَانَتْ أَحَبُّ الْأَوْلَادِ إِلَى قَلْبِ الْأُمِّ . وَالْأَوْسَطُ بَيْتَرُ ، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يُصْبِحَ مُهَنْدِسًا . وَالصُّغْرَى فِيلِسُ ، وَكَانَتْ صَادِقَةً طَيِّبَةَ الْقَلْبِ ، لَكِنْ تَقَعُ أَحْيَاً فِي الْمَتَاعِبِ .

كَانَتْ أُمُّهُمْ تَحْكِي لَهُمُ الْقِصَصَ ، وَتُسَاعِدُهُمْ فِي وَاجِباتِهِمِ الْمَدْرَسِيَّةِ ، وَتَنْظِيمُ لَهُمْ فِي أَعْيَادِ مِيلَادِهِمْ أَشْعَارًا مُسَلِّيَّةً . وَكَانَ وَالِدُهُمْ رَجُلًا رَائِعًا ، لَا يَغْضَبُ أَبَدًا ، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا ، وَلَا يُرِي إِلَّا بِاسِمًا مَرِحًا . وَكَانَ لِلْأَطْفَالِ صَدِيقًا لَطِيفًا هُوَ كَلْبُهُمُ الْوَفِيُّ .

عاشَ الْأَوْلَادُ فِي سَعَادَةٍ غَامِرَةٍ إِلَى أَنْ حَدَثَ ، ذَاتَ يَوْمٍ ، أَمْرٌ مُرْيِعٌ قَلْبَ حَيَاتِهِمْ . فِي إِحْدَى اللَّيَالِي جَاءَ رَجُلًا يَطْلَبُنِي الْأَبَ ، وَمَضَيَا بِهِ . بَدَا الشُّحُوبُ وَالاضْطِرَابُ عَلَى وَجْهِ الْأُمِّ ، وَالْتَّفَتَتْ إِلَى أَوْلَادِهَا وَسَأَلَتْهُمْ بِصَوْتٍ حَزِينٍ أَنْ يَظْلَمُوا هَادِئَنَّ وَأَلَا يَطْرَحُوا أَسْئَلَةً .

كَانَتِ الطَّرِيقُ إِلَى بَيْتِهِمِ الْجَدِيدِ طَوِيلَةً مُؤْحِلَةً. وَكَانَتْ فِي لِسَنِ
تَوَقَّفُ، بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ، لِتَشْدَدَ رِبَاطُ الْحِذَاءِ الَّذِي كَانَ يَعُودُ
فِي نَحْلٍ.



ظلَّ الْأَمْرُ عَلَى حَالِهِ مِنَ الشَّقَاءِ أَسَايِعَ. ثُمَّ قِيلَ لِلأَوْلَادِ إِنَّ أَبَاهُمْ، الَّذِي كَانَ مُؤَظَّفًا فِي الدَّوْلَةِ، سَافَرَ فِي عَمَلٍ، وَقَدْ يَغِيبُ طَوِيلًا. وَقَالَتِ الْأُمُّ: «لَا تَخَافُوا! سَنَكُونُ بِخَيْرٍ!» وَأَخْبَرَتْهُمْ أَنَّهُمْ سَيَتَرُكُونَ بَيْتَهُمْ لِيَعِيشُوا فِي بَيْتِ رِيفِيٍّ صَغِيرٍ. ثُمَّ حُزِّمَتْ بَعْضُ الْأَمْتِعَةِ وَالْحَاجَاتِ الْمَتَزَلِّيَّةِ فِي صُرَرٍ وَصَنَادِيقَ.

قَالَتْ بَابِي: «لِمَ نَأْخُذُ الْأَشْيَاءَ الْقَبِيحةَ، يَا أُمِّي؟»

أَجَابَتِ الْأُمُّ: «بَلْ نَأْخُذُ الْأَشْيَاءَ الْمُفِيدَةَ. يَا صَغِيرَتِي، سَنَعِيشُ، إِلَى حِينٍ، حَيَاةً بَسَاطَةً.»

حُمِّلَتِ الْأَشْيَاءُ الْقَبِيحةُ الْمُفِيدَةُ فِي عَرَبَةٍ، وَانْتَقَلَ الْأَوْلَادُ بِمَرْكَبَةٍ إِلَى مَحَطةِ الْقِطَارِ. وَكَانَتْ رِحْلَةُ الْقِطَارِ طَوِيلَةً جَدًّا، اسْتَسْلَمَ الْأَوْلَادُ فِيهَا لِلنَّوْمِ، وَلَمْ يَسْتَيْقِظُوا إِلَّا عَلَى صَوْتِ أُمِّهِمْ تَقُولُ لَهُمْ: «وَصَلَنَا، يَا أَحِبَّانِي.»

وَقَفُوا عَلَى رَصِيفِ مَحَطةِ الْقِطَاراتِ، وَرَاحُوا يُرَاقبُونَ الْأَضْوَاءِ الْخَلْفِيَّةِ لِعَرَبَةِ الْحَارِسِ وَهِيَ تَخْتَفِي فِي الظَّلَامِ. وَلَمْ يَكُونُوا يَعْوَنُوا آنَذَاكَ أَنَّ الْقِطَاراتِ سَتَكُونُ مَوْضِعَ حُبُّهُمِ الشَّدِيدِ وَالْمِحْوَرَ الَّذِي تَدْوَرُ حَوْلَهُ حَيَاةُهُمُ الْجَدِيدَةُ.

ثُمَّ أَمْسَكَتِ الْأُمُّ وَالْأَوْلَادُ بَعْضُهُمْ أَيْدِيَ بَعْضٍ، وَانْطَلَقُوا فِي طَرِيقِهِمْ.

تمَّ تَمَّ پِيَرَ فِي الْعَتَمَةِ : «وَيَقُولُ ، لَيْسَتْ سِوَى جُرْذَانٍ !»

مَنْجَمُ الْفَحْمِ !

قَالَتِ الْأُمُّ : «لَطَالَما بَحَثْنَا عَنِ اللَّهِ وَالإِثَارَةِ . وَهَا قَدْ تَحَقَّقَ مَا تَمَّنَّيْنَاهُ . فَلَتَكُنْ هَذِهِ مُعَامَرَتَنَا !»

كَانَ يُفْتَرَضُ أَنْ يَتَرُكَ لَهُمْ بَعْضُ الْجِيَرَانِ طَعَامًا لِلْعَشَاءِ . لِكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا ، فَتَرَكَتِ الْأُمُّ إِلَى الْقَبْوِ ، حَيْثُ كَانَتْ أَمْتَعْتَهُمْ ، وَخَلَعَتْ أَحَدَ الصَّنَادِيقِ ، وَأَخْرَجَتْ مِنْهُ مَرْطَبَانَاتٍ وَمُعَلَّبَاتٍ حَمَلُوهَا مَعَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ السَّابِقِ . وَكَانُوا كُلُّهُمْ مُتَعَبِّينَ وَجَائِعِينَ ، فَأَسْعَدَهُمْ أَنْ يَجِدُوا تِلْكَ الْوَجْهَةَ السَّرِيعَةَ الْبَارِدَةَ . أَكَلُوا السَّرَّدِينَ وَالْمُرَبَّى وَالْخُبْزَ الْمُحَمَّصَ ، وَاحْسَنُوا أَنَّهُمْ فِي نُزُهَةٍ خَلْوِيَّةٍ فَشَعَرُوا بِالْطُّمَانِيَّةِ وَالرَّاضِيَّةِ .

ثُمَّ اشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي إِعْدَادِ الْأَسِرَّةِ ، وَذَهَبُوا إِلَى فِرَاشِهِمْ راضِينَ . وَاتَّفَقَ أَنْ اسْتَيْقَظَتْ بَابِي لَيْلًا ، فَأَحْسَتْ أَنَّ أُمَّهَا كَانَتْ لَا تَزالُ سَاهِرَةً تَحْوُمُ فِي غُرْفَتِهَا .

اسْتَيْقَظَ الْأَوْلَادُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي باِكِرًا ، وَنَزَّلُوا بِهُدُوءٍ شَدِيدٍ إِلَى الْمَطْبِخِ لِيُعِدُوا طَعَامَ الْفُطُورِ . وَكَانُوا يَأْمُلُونَ أَنْ تَجِدَ أُمُّهُمُ الطَّعَامَ جَاهِزًا عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ .



أَوْصَلَتْهُمُ الطَّرِيقُ الرَّيفِيَّةُ الْوَعْرَةُ إِلَى بَوَابَةٍ فِي الْحُقُولِ. وَرَاءَ تِلْكَ الْبَوَابَةِ ارْتَفَعَ مَنْزِلٌ قَاتِمٌ كَثِيرٌ. قَالَتْ أُمُّهُمْ مُّشِيرَةً إِلَى المَنْزِلِ: «ذَاكَ هُوَ بَيْتُنَا !»

كَانَ الْمَنْزِلُ مُعْتَمِّاً. إِنْحَنِي السَّائِقُ الَّذِي جَلَبَ الْأَمْتِعَةَ وَالْتَّقَطَ الْمِفْتَاحَ مِنْ تَحْتِ عَتَبَةِ الْبَابِ. ثُمَّ دَخَلَ إِلَى الْمَطْبَخِ وَأَضَاءَ شَمْعَةً، وَدَخَلَتِ الْأُمُّ وَأَوْلَادُهَا وَرَاءَهُ. وَبَدَا الْمَطْبَخُ قَاتِمًا بَارِدًا.

كَانُوا يَسْمَعُونَ خَشْخَشَةً وَقَرْقَعَةً فِي الْجُدْرَانِ. فَسَأَلَتِ الْفَتَاهُ الصَّغِيرَةُ مَذْعُورَةً: «مَا هَذَا؟» أَجَابَ سَائِقُ الْعَرَبَةِ، وَهُوَ يَتَرُكُ الْبَيْتَ: «لَا شَيْءٌ. لَيْسَتْ سِوَى جُرْذَانِ !» وَعِنْدَمَا صَفَقَ الْبَابُ وَرَاءَهُ هَبَّتْ نَسْمَةٌ هَوَاءٌ أَطْفَالُ الشَّمْعَةِ.



كانَ المَنْزِلُ قَائِمًا عَلَى تَلَةٍ ، وَسَطَ حَقْلٌ وَاسِعٌ . وَقَفَ الْأَوْلَادُ يَنْتَظِرُونَ ، فَرَأَوْا فِي أَسْفَلِ التَّلَةِ سِكَّةَ حَدِيدٍ وَنَفْقًا أَسْوَدَ مُتَشَابِهً . وَرَأَوْا فِي طَرَفِ الْوَادِي جِسْرًا كَبِيرًا ذَا قَنَاطِيرَ عَالِيَّةَ .

جَلَسُوا جَمِيعًا عَلَى حَجَرٍ مُنْبِسطٍ كَبِيرٍ يَنْتَظِرُونَ مُرْوَرَ الْقِطَارِ . وَوَجَدَتْهُمْ أُمُّهُمْ ، فِي الثَّامِنَةِ صَبَاحًا ، يَنَامُونَ فِي دِفْءِ الشَّمْسِ نَوْمًا عَمِيقًا هَانِئًا .

وَكَانَتِ النَّارُ ، فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ ، قَدِ انْطَفَأَتْ ، وَاحْتَرَقَ قَاعُ الْإِبْرِيقِ . فَأَكَلُوا خُبْزًا مُحَمَّصًا وَزُبْدَةَ وَجُبَنًا وَلَحْمًا مُبَرَّدًا ، وَهُنَّ أَيْضًا مِمَّا حَمَلُوهُ مَعَهُمْ مِنْ بَيْتِهِمِ السَّابِقِ .

أَنْهَوْا بَعْدَ الظُّهُرِ فَكَ الصُّرَرِ وَالصَّنَادِيقِ وَتَرْتِيبَ الْأَمْتِعَةِ ، فَأَخْلَدَتِ الْأُمُّ إِلَى غُرْفَتِهَا تَسْتَرِيحُ . وَانْطَلَقَ الْأَوْلَادُ إِلَى سِكَّةِ الْحَدِيدِ .

لَمْ يَكُنْ فِي الْحَمَامِ مَاءٌ ، فَاجْتَمَعَ الْأَوْلَادُ عِنْدَ مِضَخَةٍ فِي سَاحَةِ الْمَتْرِلِ وَاغْتَسَلُوا . قَالَتْ بَابِي : « الْإِغْتِسَالُ هُنَا أَمْتَعُ مِنَ الْإِغْتِسَالِ فِي حَوْضِ الْحَمَامِ . مَا أَجْمَلَ هَذِهِ الْأَعْشَابِ الْبَرَاقَةِ النَّابِتَةِ بَيْنَ الْحِجَارَةِ ! » ثُمَّ أَشْعَلَ الْأَوْلَادُ الْمَوْقِدَ ، وَوَضَعُوا فَوْقَهُ إِبْرِيقَ مَاءٍ ، وَأَعْدَّوَا طَاوِلَةَ الطَّعَامِ ، وَخَرَجُوا يَسْتَكْشِفُونَ .





انزلقا فوق المنحدر المرجي الناعم، بين جنبات الوزال
والصخور الصفراء. وانتهت طريقهم بمنحدر شديد وسياج
خشبي. هناك كانت سكة الحديد يقضبانها البراقة، وخطوط
التلغراف، والأعمدة واللافتات والإشارات.

فجأة، سمعوا صوتا هادرا، ثم اندفع من النفق قطار راح
يزعق وينفذ دخانا. مر بمحاذة الأولاد مثيرا هبة هواء قوية،
وراحت الحجارة بين خطى سكة الحديد تتطاير وتترقب.
قالت بابي: «ما أعظمها! فكانما هو تنين عظيم يمر بنا
خارطا!»

ابتلع بيتر ريقه، وقال: «اقربنا كثيرا من القطار!»
قالت بابي بصوت خفيض: «ترى، أيذهب هذا القطار إلى
لندن؟ فأبى هناك!»

قال بيتر: «نذهب إلى المحطة ونستفسر.»

مشوا على خط سكة الحديد، حتى وصلوا إلى طرف المحطة.
واحتلوا النظر إلى غرفة العامل، فرأوه يقرأ صحفة، وهو شبه
نائم.

البضائع . وأَحْبَبُوا القناتِرَ الَّتِي تَنْقُلُ المِيَاهَ عَبْرَ الْوَادِي وَالَّتِي كَانُوا قَدْ رَأَوْا مَثِيلًا لَهَا فِي رُسُومٍ كُتُبِ التَّارِيخِ الْقَدِيمِ . وأَحْبَبُوا ، فَوْقَ ذَلِكَ كُلُّهُ ، سِكَّةَ الْحَدِيدِ .

بَدَأَتْ لَهُمْ حَيَاةُهُمُ السَّابِقَةُ حُلْمًا . وَتَعَوَّدُوا العِيشَ دُونَ أَبِيهِمْ . لَمْ يَنْسَوْهُ ، لَكِنْ تَعَوَّدُوا العِيشَ دُونَهُ . وَكَانَتْ أُمُّهُمْ تَقْضِي سَحَابَةَ أَيَامِهَا فِي كِتَابَةِ قِصَصٍ تُرْسِلُهَا إِلَى الصُّحُفِ . وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تِلْكَ الْقِصَصُ تَعُودُ إِلَيْهَا . لَكِنْ يَحْدُثُ أَنْ تَنْشُرَ صَحِيفَةً قِصَصَةً مِنْهَا ، فَيَتَوَافَرُ لِلْأُسْرَةِ عِنْدَئِذٍ مَا يُمْكِنُهَا مِنْ عَشَاءٍ مُمْيَزٍ .

كَانَتْ أُمُّهُمْ تُذَكِّرُهُمْ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ أَنَّهُمْ بَاتُوا فُقَراءً . وَحَدَّثَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ الْبَارِدَةِ أَنْ طَلَّبُوا فَحْمًا يَسْتَدْفِئُونَ بِهِ ، فَقَالَتْ : «الْفَحْمُ غَالِي الثَّمَنِ ! أُرْكُضُوا وَامْرَحُوا فَتَدْفَأُوا !»

أَوْحَى ذَلِكَ لِپِيَرَ بِفِكْرَةٍ . لَكِنَّهُ لَمْ يُفْصِحْ عَمَّا بِنَفْسِهِ وَقَالَ لِأَخْتِيهِ : «لَعَلَّ مَا أَفْكَرَ فِيهِ ضَارُّ ، فَلَنْ أُشْرِكَ كُمَا مَعِيِّ . تِلْكَ مُغَامِرَتِي أَنَا ، لَكِنْ إِنْ سَأَلْتَ عَنِّي أُمِّي قُولًا إِنِّي أَلْعَبُ عِنْدَ الْمَنْجَمِ .»

«أَيُّ مَنْجَمٍ؟»

«مَنْجَمُ الْفَحْمِ ! وَإِيَا كُمَا أَنْ تَذَكُّرَا شَيْئًا لِأَحَدٍ !»

كان في المحطة عدد كبير من نقاط التحويل والخطوط الفرعية. ورأى الأولاد في جانب من المحطة كومة كبيرة من الفحم الحجري المتراص، يُزورها من أعلىها خط أبيض. خرج عامل المحطة إلى الأولاد، وذكر لهم أن الخط الأبيض يبين كمية الفحم. فإذا حدث أن أخذ أحد فحماً انكشف الأمر. وقال موجهاً كلامه لپيتر: «إياك لذلك أن تدنس فحمة في جييك!»



سرعان ما تعود الأولاد حياة الريف، ووجدوا أشياء ممتعة كثيرة. أحبوا القناة والأخضراء المسينة البطيئة التي تجر قوارب



لِكِنْ تَذَكَّرْ أَنَّ السَّرِقَةَ سَرِقَةً ، حَتَّى لَوْ دَعَوْتَهَا اسْتِخْرَاجًا مِنْ
مَنْجَمٍ ! أُرْكُضْ إِلَى الْبَيْتِ ! »

قالَ پيتَرَ : «أَنْتَ لَطِيفٌ !»

وقالَتْ بابِي : «أَنْتَ شَرِيفٌ !»

وقالَتْ فيلِيس : «أَنْتَ مَحْبُوبٌ !»
ابْتَسَمَ النَّاظِرُ ، وَرَفَعَ يَدَهُ مُودَّعًا .

بعدَ لِيَلَتَيْنِ طَلَبَ بَيْتَرَ. مِنْ أُخْتِيهِ أَنْ تَأْتِيَ بِعَرَبَةِ الْأَطْفَالِ الْعَتِيقَةِ
الَّتِي كَانَتْ فِي قَبْوِ الْمَتَزِلِ. نَزَلَ الْأَوْلَادُ بِعَرَبَتِهِمِ الْمُنْحَدَرَ، وَمَسَوَا
إِلَيْهِ. مَكَانٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمَحَاطَةِ. وَهُنَاكَ فِي حُفْرَةٍ مُغَطَّاءٍ بِنِباتِ
الخَلْنجِ. وَالسَّرْخَبِ، أَرَى بَيْتَرَ أُخْتِيهِ كَوْمَةً مِنَ الْفَحْمِ. وَقَالَ:

«هَذَا الْفَحْمُ مِنْ مَنْجَمِ الْأَخْرَ بَيْتَرَ!» مَلَأَ الْأَوْلَادُ الْعَرَبَةَ
بِالْفَحْمِ وَجَرَوْهَا إِلَى الْبَيْتِ. وَلَا حَظَتِ الْأُمُّ أَنَّ مَخْزُونَهُمُ الْقَلِيلَ مِنَ
الْفَحْمِ لَمْ يَنْقُصْ فِي ذَلِكَ الْأَسْبُوعِ كَثِيرًا!

لَكِنْ حَدَثَ فِي إِحْدَى الْلَّيَالِي أَنَّ أَمْسَكَ نَاظِرُ الْمَحَاطَةِ بَيْتَرَ وَهُوَ
فَوْقَ كَوْمَةِ الْفَحْمِ الَّتِي يُزَرِّعُهَا الْخَطُّ الْأَبِيسُ. قَالَ بَيْتَرَ مُنْفَعِلًا:
«أَنَا لَسْتُ لِصًّا. أَنَا عَامِلُ مَنْجَمٍ!» وَكَانَتْ بَابِي وَفِيلِسْ مُخْتَبِتَيْنِ
خَلْفَ شَاحِنَةٍ، فَتَقَدَّمَا بِشَجَاعَةٍ وَوَقَفَا إِلَى جَانِبِ أَخِيهِمَا.

هَتَّفَ النَّاظِرُ: «أَرَى أَنَّكُمْ عِصَابَةٌ! الْأَوْلَادُ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ
الْمَتَزِلَ الْعَالِيَ! أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ السَّرِقةَ حَرَامٌ؟ مَا الَّذِي دَفَعَكُمْ إِلَى
ذَلِكَ؟»

ذَكَرَ بَيْتَرَ أَنَّهُمْ فُقَرَاءُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شِرَاءِ فَحْمٍ يَسْتَدْفِئُونَ بِهِ،
وَأَنَّهُ رَأَى، لِذَلِكَ، أَنَّ أَخْذَ شَيْءًا مِنَ الْفَحْمِ مِنْ قَلْبِ الْكَوْمَةِ
الْكَبِيرَةِ لَيْسَ ذَنْبًا - إِنَّهُ أَشْبَهُ بِاسْتِخْرَاجِ الْفَحْمِ مِنْ مَنْجَمٍ!

وَعَدَ نَاظِرُ الْمَحَاطَةِ الرَّوْفُ بِغَضْنَاظِرِ هَذِهِ الْمَرَّةِ. وَقَالَ:

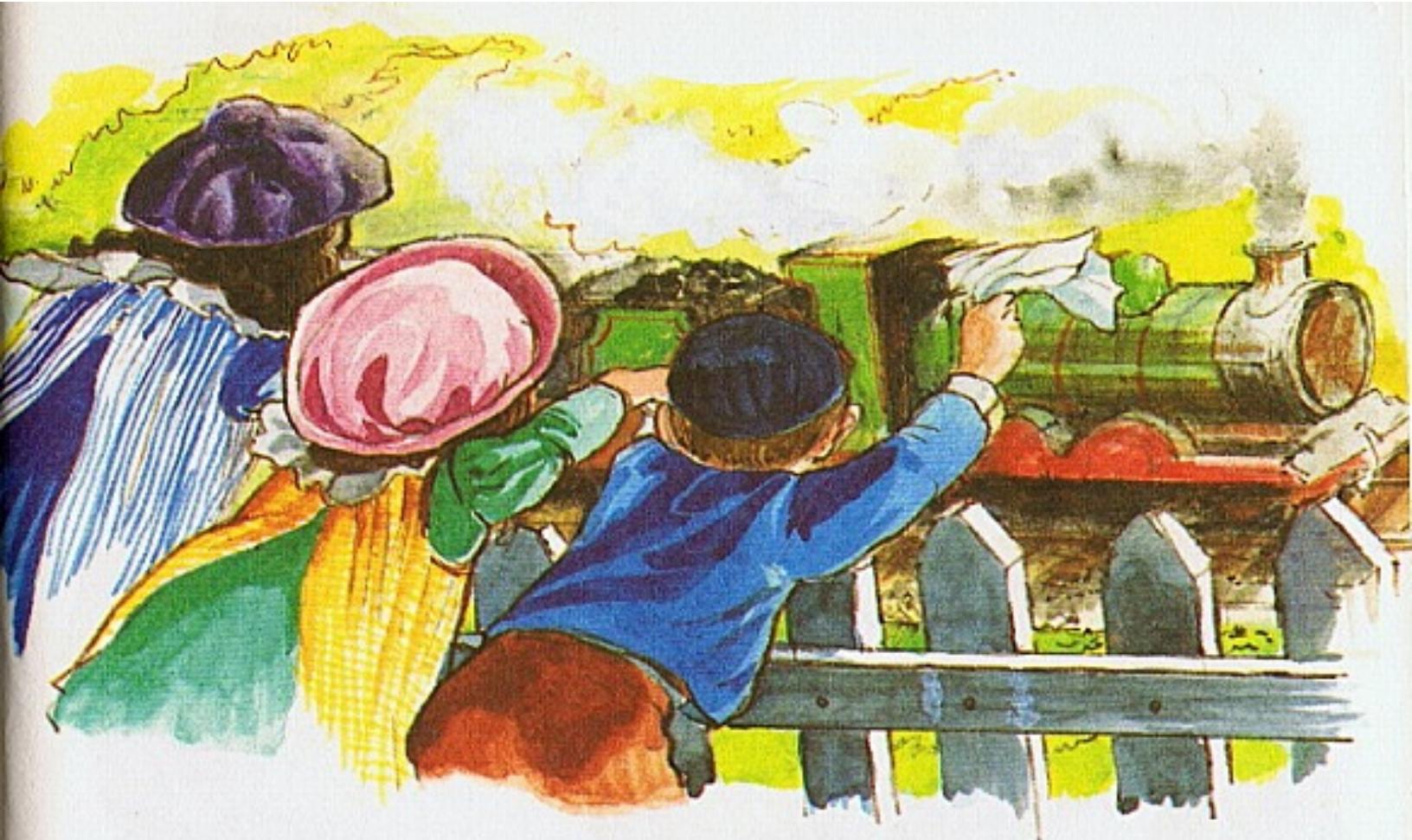
بَطْنِ النَّفَقِ . وَكَانَ الْعَجُوزُ ، حِينَ يَرَاهُمْ ، يُلَوِّحُ لَهُمْ بِجَرِيَّتِهِ مُحْيَيَا . فَيَرْدَوْنَ تَحِيَّتَهُ مُلَوِّحِينَ بِمَنَادِيلِهِمْ ، وَقَدْ طَابَ لَهُمْ أَنْ يَتَخَيلُوا أَنَّ الْعَجُوزَ يَعْرِفُ أَبَاهُمْ فِي لَندَنَ ، وَأَنَّهُ قَدْ يَنْقُلُ إِلَيْهِ حَبَّهُمْ .

ذَاتَ يَوْمٍ أَخْبَرَ الْأَوْلَادُ نَاظِرَ الْمَحَاطَةِ أَنَّ أَمَّهُمْ بَاعَتْ قِصَّةً مِنْ قِصَصِهَا . فَأَسْعَدَهُ أَنَّ يَرَاهُمْ فَخُورِينَ بِأَمَّهُمْ النَّشِيطَةِ الْذَّكِيَّةِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى زِيَارَةِ مَحَاطَةِ الْقِطَارَاتِ كُلَّمَا أَرَادُوا ذَلِكَ . سَرَّتْهُمْ دَعْوَتُهُ كَثِيرًا ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ سَامَحَهُمْ عَلَى الذَّنْبِ الَّذِي اقْتَرَفُوهُ .

رَوَى لَهُمْ عَامِلُ الْمَحَاطَةِ ، وَاسْمُهُ پِيرْكُزْ ، حِكَايَاتٍ كَثِيرَةً مُدْهِشَةً عَنِ الْقِطَارَاتِ . وَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَى رَاكِبِ الْقِطَارِ أَنْ يَشُدَّ حَبْلَ التَّوْقُفِ الطَّارِئِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ يَتَعَرَّضُ لِمُحاوَلَةِ قَتْلٍ ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . وَقَدْ حَدَثَ أَنَّ سَيِّدَةَ عَجُوزًا شَدَّتْ يَوْمًا حَبْلَ التَّوْقُفِ ظَنًا مِنْهَا أَنَّهُ جَرَسُ خِدْمَةِ الطَّعَامِ . وَلَمَّا جَاءَهَا الْحَارِسُ عَلَى عَجَلٍ طَلَبَتْ مِنْهُ رَغِيفَ خُبْزٍ .

* * *

مَرَضَتِ الْأُمُّ يَوْمًا ، فَاسْتَدْعَى پِيَرْ طَبِيبَ الْقَرَيَّةِ . قَالَ الطَّبِيبُ إِنَّ الْأُمَّ مُصَابَةً بِالْإِنْفُلُوْنْزَا وَوَصَفَ لَهَا دَوَاءً . لِكِنَّهُ قَالَ أَيْضًا إِنَّهَا بِحَاجَةٍ إِلَى غِذَاءٍ كَافِ ، وَذَكَرَ أَنْواعًا مِنَ الطَّعَامِ غَالِيَةً الشَّمَنِ . فَأَحْسَسَ الْأَوْلَادُ بِقَلَقٍ شَدِيدٍ .



السَّيِّدُ الْعَجُوزُ

لَمْ يَكُنْ الْأَوْلَادُ يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِبْتِاعَادِ عَنْ سِكَّةِ الْحَدِيدِ. فِي الرِّيفِ الْمُتَكَاسِلِ لَمْ يَكُنْ يَجُوبُ الْبِطَاحَ إِلَّا الْقِطَارَاتُ. أَحَبَّ الْأَوْلَادُ تِلْكَ الْقِطَارَاتِ وَأَعْطَوْهَا أَسْمَاءً. فِي قِطَارِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ اسْمُهُ عِنْدَهُمُ التَّنِينُ الْأَخْضَرُ، وَقِطَارُ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ السَّرِيعُ اسْمُهُ طَائِرُ اللَّيْلِ.

سُرْعَانَ ما صَارَ عِنْدَهُمْ صَدِيقٌ، وَكَانَ سَيِّدًا عَجُوزًا بِاسْمِ الْوَاجِهِ يُسَافِرُ كُلَّ صَبَاحٍ فِي قِطَارِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. كَانَ الْأَوْلَادُ يَقِفُونَ وَرَاءِ السِّيَاجِ الْخَشِيبِيِّ، يَنْتَظِرُونَ التَّنِينَ الْأَخْضَرَ لِيَشْقَ الظَّلَامَ خَارِجًا مِنْ

غَضِبَتْ أُمُّهُمْ كَثِيرًا أَوْلَ الْأَمْرِ ، لِكِنَّهَا كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ أَوْلَادَهَا
لَمْ يَكُونُوا يَسْعَوْنَ إِلَّا إِلَى مُسَاعِدَتِهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ :
« لَا تَطْلُبُوا شَيْئًا مِنْ غَرِيبٍ ، أَيًّا كَانَتِ الْأَسْبَابُ ! عَلَى أَنِّي
سَأَكْتُبُ لِلْسَّيِّدِ الْعَجُوزِ أَشْكُرُهُ عَلَى لُطْفِهِ . »



قالَتْ بَابِي : «عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا ! فَلَنْفَكِرْ !» أَخِيرًا خَطَرَتْ لَهُمْ فِكْرَةٌ . جَاؤُوا بِرُقْعَةٍ قُماشٍ بِيَضَاءِ ، وَكَتَبُوا عَلَيْهَا بِحُرُوفٍ كَبِيرَةٍ الْعِبَارَةُ الْآتِيَةُ : «إِنْتَظِرُنَا فِي الْمَحَاطَةِ .»

رَكَّزُوا الْلَّاْفِتَةَ عَلَى السِّيَاجِ الْخَشَبِيِّ ، وَوَقَفَ پِيَرُ يُشِيرُ إِلَيْهَا بِيَدِهِ . وَحَمَلَتْ فِيلِسْ رِسَالَةً إِلَى السَّيِّدِ الْعَجُوزِ ، رَكَضَتْ بِهَا إِلَى الْمَحَاطَةِ . وَكَادَتْ أَنْ تَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْعِدِ الْقِطَارِ بِسَبَبِ اِنْجِلَالِ زِبَاطِ حِذَائِهَا .

وَصَفَ الْأَوْلَادُ فِي الرِّسَالَةِ حَالَ أَمْهُمْ ؛ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَوَعَدُوا أَنْ يُسَدِّدُوا ، حِينَ يَكْبُرُونَ ، مَا يَتَرَبَّ عَلَيْهِمْ : قَرَأَ الْعَجُوزُ الرِّسَالَةَ ، فَابْتَسَمَ ، وَوَضَعَهَا فِي جَيْهِهِ . ثُمَّ تَابَعَ قِرَاءَةَ جَرِيدَتِهِ .

فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ زَارَهُمْ عَامِلُ الْمَحَاطَةِ پِيرَكْزُ ، وَقَدْ حَمَلَ سَلَةً كَبِيرَةً . وَكَانَ فِي السَّلَةِ كُلُّ مَا طَلَبُوهُ ، وَأَنْواعُ أُخْرَى مِنَ الطَّعَامِ وَالْعَصِيرِ لَمْ يَطْلُبُوهَا ، بَلْ وَكَانَ فِيهَا أَيْضًا باقةُ زَهْرٍ وَزُجَاجَةُ عِطْرٍ .

حَمَلَ الْعَامِلُ مَعَهُ إِلَى الْأَوْلَادِ رِسَالَةً مِنَ السَّيِّدِ الْعَجُوزِ . جَاءَ فِي الرِّسَالَةِ أَنَّهُ يُسَعِّدُهُ أَنْ يُسَاعِدَهُمْ ، وَأَنَّهُ يَأْمُلُ أَلَا تَغْضِبَ أَمْهُمْ لِأَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ الْعَوْنَ .

بَعْدَ أَسْبُوعَيْنِ كَتَبَ الْأَوْلَادُ لَاْفِتَةً أُخْرَى تَحْمِلُ الْعِبَارَةَ الْآتِيَةَ : «إِنَّهَا تَتَعَافَى - شُكْرًا لَكَ» .



قدَّمتْ فيليس لأخْتها مَحْفَظَةً خِيطانٍ وَابْرٍ صَنَعَتْها بِنَفْسِهَا.
وَقدَّمتِ الأمُّ دَبَّوسَ فِضَّةً عَلَى شَكْلِ زَهْرَةِ الْحَوْذَانِ. وَأَعْمَارَ پِيَرَ أَخْتهُ
الْقِطَارَ - الْلَّعْبَةَ بَعْدَ أَنْ مَلَّا المَقْطُورَةَ بِقِطْعَةِ الْحَلْوَى.

وَزُينَ قَالِبُ حَلْوَى العِيدِ بِاثْتَيْ عَشْرَةَ شَمْعَةً، وَرُسِّمَ عَلَيْهِ اسْمُ
صَاحِيَّةِ العِيدِ بِأَحْرُفٍ أَرْجُوَانِيَّةٍ. وَلَعِبَ الْجَمِيعُ وَبَدَا عَلَيْهِمِ الْبِشْرُ.
قَالَتْ بَابِي : «أَرْجُوكِ ، لَا تَسْهُرِي كَثِيرًا هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، يَا أُمِّيِّ .»
«لَا ، سَأَكْتُبُ رِسَالَةً إِلَى أَبِيكِ وَأَنَّامُ .»

لَكِنْ ، فِي سَاعَةٍ مُّتَّاخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، تَسَلَّكَتْ بَابِي لِتَأْتِيَ
بِهَا يَا هَا ، فَوَجَدَتْ أُمَّهَا لَا تَرَالُ جَالِسَةً إِلَى الطَّاولةِ ، وَقَدْ وَضَعَتْ
رَأْسَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا. أَدْرَكَتْ بَابِي أَنَّ أُمَّهَا لَا تُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ أَوْلَادُهَا
أَنَّهَا حَزِينَةٌ ، فَانسَحَبَتْ بِهُدُوٍّ عَائِدَةً إِلَى غُرْفَةِ النَّوْمِ. وَكَانَتْ تِلْكَ
خَاتِمَةً مُحْرِنَةً لِحَفْلَةِ عِيدِ مِيلَادِ .

مِيلَادُ بَابِي

كَانَتْ أَعْيَادُ مِيلَادِ الْأَوْلَادِ مُنَاسِبَاتٍ مُمِيَّزَةً دَائِمًا . وَمَعَ أَنَّ الْمَالَ لِشِرَاءِ الْهَدَى يَا لَمْ يَكُنِ الآنَ مُتَوَافِرًا ، فَإِنَّ الْأُمَّ وَپِيَرَ وَفِيلِسَ لَمْ يَنْسَوَا عِيدَ مِيلَادِ بَابِي الثَّانِي عَشَرَ .

وَكَانَتْ مُفَاجَأَةً كُبْرِى ! فَقَدْ كَانَ وَجْهُ الطَّاولَةِ مُزَينًا بِأَزْهَارٍ تُمَثِّلُ مُخَطَّطًا لِمَحَاطَةِ الْقِطَارَاتِ .

قَالَ پِيَرَ : «أُنْظُرِي ! أَزْهَارُ اللَّيْلَكِ هَذِهِ تُمَثِّلُ خَطْبَى السَّكَّةِ الْحَدِيدِ ! أَمَّا الْمَحَاطَةُ فَمَرْسُومَةُ بِأَزْهَارِ الْمَسْتُورِ . وَالْقِطَارُ يُمَثِّلُ زَهْرَ الزَّنْبِقِ . أَمَّا زَهَراتُ الْأَقَاحِرِ الْثَّلَاثُ هَذِهِ فَهِيَ نَحْنُ ، وَقَدْ وَقَفَنَا نُلَوْحُ لِصَدِيقِنَا الْعَجُوزِ . أَمَّا الْعَجُوزُ فَهُوَ هَذِهِ الْبَنَفْسَاجَةُ الْعَالِقَةُ فِي قِطَارِ الزَّنْبِقِ ! »

وَكَانَتِ الْأُمُّ قَدْ نَظَمَتْ أَغْنِيَةً لِعِيدِ مِيلَادِ ابْنَتِهَا . تَقُولُ كَلِمَاتُ الْأَغْنِيَةِ :

زِينَةُ الْأَعْيَادِ	عِيدُ مِيلَادِكِ عِنْدِي
فَرَحَ الْأَوْلَادِ	يَمْلأُ الْبَيْتَ رَجَاءً

* * *

وَعَلَى الْخَدَّ زَهْرَ	إِنَّ فِي صَوْتِكِ سِحْرًا
وَامْلَأِي عَيْنِي صُورَ	فَامْلَأِي قَلْبِي غِنَاءً

تدَقَّ لِسانُ الرَّجُلِ بِسَيْلٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ، عَرَفَ پِيَترُ أَنَّهَا فَرَنْسِيَّةً، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنْهَا. كَانَ الْأَوْلَادُ قَدْ أَخَذُوا دُرُوسًا في الفَرَنْسِيَّةِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا شَيْئًا! أَمَّا أُمُّهُمْ فَتَعْرِفُ الفَرَنْسِيَّةَ، وَقِطَارُهَا يَصِلُّ قَرِيبًا.

رَجَتْ بَابِي ناظِرَ المَحَاطَةِ إِلَّا يُفْزِعَ الرَّجُلَ، فَعَيْنَاهُ، كَمَا قَالَتْ، تُشَبِّهانِ عَيْنَيْ أَرْنَبٍ وَقَعَ فِي فَخٍ. قَالَ ناظِرُ المَحَاطَةِ: «أَظُنُّ أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ نَسْتَدْعِيَ رِجَالَ الشُّرُطَةِ».

خَطَرَتْ لِپِيَترِ فِكْرَةٌ لَامِعَةٌ، فَقَدْ أَرَى الغَرِيبَ طَوابِعَ بَرِيدِيَّةً لِبِلْدَانٍ مُخْتَلِفَةً. التَّقَطَ الرَّجُلُ طَابِعًا بَرِيدِيًّا روسيًّا وَرَفَعَهُ بِيَدِهِ. وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَصَلَّ قِطَارُ الْأُمِّ. تَحَدَّثَ الغَرِيبُ إِلَيْ الْأُمِّ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ مُنْفَعِلٍ وَبِكَلِمَاتٍ سَرِيعَةٍ. وَقَالَتِ الْأُمُّ بَعْدَ ذَلِكَ: «الْمَسَأَةُ بَسِيَطَةٌ». فَهُذَا الرَّجُلُ روسيٌّ، وَقَدْ فَقَدَ تَذْكِرَةَ سَفَرِهِ. إِنَّ لَهُ فِي بِلَادِهِ شَانًا عَظِيمًا، فَهُوَ كَاتِبٌ شَهِيرٌ. وَقَدْ قَرَأْتُ، أَنَا نَفْسِي، عَدَدًا مِنْ كُتُبِهِ».

تَعَلَّقَ الْأَوْلَادُ بِأَمِّهِمْ وَرَجَوْهَا أَنْ تَسْمَحَ لِلرَّجُلِ بِالإِقَامَةِ عِنْدَهُمْ رَيْشَمَا يَشْفَى. فَوَافَقَتِ الْأُمُّ. وَفِي الْبَيْتِ أَشْعَلَ الْأَوْلَادُ نَارًا، ثُمَّ ذَهَبَ پِيَترُ لِاسْتِدْعَاءِ الطَّبِيبِ. وَأَخْرَجَتِ الْأُمُّ مِنْ صُندوقٍ بَعْضَ ثِيَابِ زَوْجِهَا وَأَعْطَتَهَا لِلرَّجُلِ. فَخَافَتْ بَابِي خَوْفًا شَدِيدًا، وَخَشِيتْ أَنْ يَكُونَ أَبُوهَا قَدْ ماتَ.



أَسْرَى وَمُحْتَجِزُونَ

ذاتَ يَوْمٍ اسْتَقْلَتِ الْأُمُّ الْقِطَارَ إِلَى بَلْدَةٍ قَرِيبَةٍ لِتَضَعَ رَسَايْلَهَا فِي الْبَرِيدِ. وَذَهَبَ الْأَوْلَادُ لِمُلْاقَاتِهَا فِي الْمَحَاطَةِ، قَبْلَ وُصُولِ قِطَارِهَا بِسَاعَةٍ، وَرَاحُوا يَلْعَبُونَ فِي قَاعَةِ الْإِنْتِظَارِ.

وَصَلَ قِطَارُ، فَأَسْرَعَ الْأَوْلَادُ يَبْحَثُونَ عَنْ صَدِيقِهِمِ السَّائِقِ. لَكِنْ شَغَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ يُحِيطُونَ بِرَجُلٍ أَجْنبِيٍّ مَرِيضٍ. لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَفْهَمُ لُغَةَ ذَلِكَ الْأَجْنبِيِّ، فَلَا هِيَ الْفَرَنْسِيَّةُ وَلَا الإِيطَالِيَّةُ وَلَا الْأَلمَانِيَّةُ. كَانَ لِلْغَرِيبِ شَعْرٌ طَوِيلٌ وَعَيْنَانِ قَلِقَتَانِ، وَكَانَ يَرْتَجِفُ. اِقْتَرَبَ پِيَترُ مِنْهُ وَقَالَ لَهُ بِالْفَرَنْسِيَّةِ: «أَتَكَلَّمُ الْفَرَنْسِيَّةَ؟» وَلَمْ يَكُنْ پِيَترُ يَعْرِفُ مِنَ الْفَرَنْسِيَّةِ غَيْرَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ، وَيَنْطِقُ بِهَا نُطْقًا أَعْوَجَ مُضْحِكًا.



مُنْقِذُو القِطَار

سُرْعَانَ مَا تَحَسَّنَتْ صِحَّةُ الْكَاتِبِ الرُّوسِيِّ بِحَيْثُ صَارَ قَادِرًا عَلَى
الخُروجِ إِلَى الْحَدِيقَةِ. وَكَتَبَتِ الْأُمُّ رَسَائِلَ إِلَى أَعْضَاءِ فِي الْبَرْلَانِ
وَشَخْصِيَّاتِ خَارِجَهُ، مِمَّنْ يُمْكِنُ أَنْ يُسَاعِدُوا فِي الْبَحْثِ عَنْ أُسْرَةِ
الْكَاتِبِ. وَلَمْ يَكُنْ الْأَوْلَادُ يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَاطُبِ مَعَ الْكَاتِبِ،
لَكِنَّهُمْ كَانُوا يُعبِّرُونَ لَهُ عَنْ صَدَاقَتِهِمْ بِالْبَسْمَاتِ وَبِاَبَاقَاتِ الزَّهْرِ.

ذَاتَ يَوْمٍ رَأَوْا أَنْ يَجْلِبُوا لَهُ كَرَزاً بَرِّيًّا مِنْ شَجَرَاتِ الْجُرْفِ
الصَّخْرِيِّ الْمُشْرِفِ عَلَى فُتُوحَةِ النَّفَقِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَوْا إِلَى قِمَّةِ
الْجُرْفِ، نَظَرُوا إِلَى أَسْفَلِ حَيْثُ تَمْتَدُ السَّكَّةُ الْحَدِيدُ.

ضَمَّتِ الْأُمُّ ابْنَتَهَا إِلَى صَدْرِهَا ، وَقَالَتْ لَهَا : «أَبُوكِ بِخَيْرٍ .
وَسَيَعُودُ يَوْمًا إِلَيْنَا . لَا تَخَافِي ، يَا حَبِيبَتِي .»

حَدَّثَتْهُمُ الْأُمُّ فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ عَنِ السَّيِّدِ الرَّوْسِيِّ . قَالَتْ إِنَّهُ
كَتَبَ عَنِ الْفُقَرَاءِ وَعَنِ الْمَظَالِمِ الَّتِي يَتَعَرَّضُونَ لَهَا . فَكَانَ أَنْ زَجَّةُ
السُّلْطَاتُ الْقَيْصَرِيَّةُ فِي السُّجْنِ ثُمَّ نَفَتَهُ إِلَى سِibِيرِيَا ، حَيْثُ تَعَرَّضَ
لِالْأَلْوَانِ مِنْ سُوءِ الْمُعَامَلَةِ .

«كَيْفَ تَخَلَّصَ مِنْ مَنْفَاهُ؟»

«سُمِحَ لِلْمَنْفَيِّينَ وَالْمُحْتَجَزِينَ فِي أَيَّامِ الْحَرْبِ بِالاِنْضِمامِ إِلَى
الجَيْشِ . وَقَدْ تَمَكَّنَ هُوَ مِنَ الْفِرارِ ، وَسَمِعَ أَنَّ زَوْجَهُ وَابْنَهُ سَافَرَا إِلَى
إِنْكِلَاتِرَا ، فَجَاءَ يَبْحَثُ عَنْهُمَا . وَقَدْ فَقَدَ تَذْكِرَتَهُ فِي الطَّرِيقِ وَنَزَلَ فِي
مَحَاطِلِنَا ، ظَنَّا مِنْهُ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى غَايَتِهِ .»

«أَتَظَنَّنَ أَنَّهُ سَيَجِدُ أَسْرَتَهُ؟»

أَجَابَتِ الْأُمُّ : «آمُلُ ذَلِكَ ، وَأَصَلَّى مِنْ أَجْلِهِ .» ثُمَّ قَالَتْ ، بَعْدَ
شَيْءٍ مِنَ الصَّمْتِ : «يَا أَحِبَّائِي ، أُطَلِّبُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرْحَمَ الْأَسْرَى
وَالْمُحْتَجَزِينَ كُلَّهُمْ .»

تَطَلَّعَتْ بِاِبْيِ فِي عَيْنِي أُمُّهَا ، وَكَانَهَا تُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَ شَيْئًا ، فَعَادَتِ
الْأُمُّ تَقُولُ : «نَعَمْ .. أَنْ يَرْحَمَ الْأَسْرَى وَالْمُحْتَجَزِينَ كُلَّهُمْ .»

رَأَوا شَجَرَةً ذَاتَ أَزْهَارٍ بَيْضَاءَ، تَحْرُكُ وَتَهْتَرُ وَتَنْزِلُ مَعَ الْمُنْحَدَرِ. ثُمَّ بَدَأَتِ الْأَشْجَارُ كُلُّها تَنْزِلُ صَوْبَ السُّكَّةِ الْحَدِيدِ.

صَاحَتْ فِيلِيسْ مَذْعُورَةً: «مَا هَذَا؟ لِنَذْهَبُ إِلَى الْبَيْتِ!»

وَقَالَ پِيَّتَرُ: «كَانَنَا كُلُّ شَيْءٍ يَنْهَا!» وَمَا إِنْ أَنْهَى عِبَارَتَهُ حَتَّى بَدَأَتِ الصَّخْرَةُ الْكَبِيرَةُ فَوقَ قِمَّةِ الْجُرْفِ وَالَّتِي تَنْمُو عَلَيْهَا أَشْجَارُ الْكَرْزِ، تَمِيلُ صَوْبَ الْوَادِي. ثُمَّ بَدَا كَانَ الْأَشْجَارُ الْمُهْتَرَّةُ قَدْ تَوَقَّفَتْ عَنِ الْإِنْزِلَاقِ. لَكِنْ، فَجْأَةً انْهَارَتِ الصَّخْرَةُ الْكَبِيرَةُ وَالْأَشْجَارُ وَالْأَعْشَابُ وَالْجَنَّبَاتُ، وَوَقَعَتْ كُلُّها فَوقَ الْجُرْفِ الصَّخْرِيِّ وَاسْتَقَرَّتْ فَوقَ خَطِّ السُّكَّةِ الْحَدِيدِ. وَنَجَمَ عَنْ سُقُوطِهَا صَوْتُ هَائِلٍ تَرَدَّدَ صَدَاهُ بَعِيدًا، وَارْتَفَعَتْ سَحَابَةُ مِنْ غُبارٍ.

قَالَتْ فِيلِيسْ: «سَدَّ الْإِنْهِيَارُ خَطَّ السُّكَّةِ الْحَدِيدِ!»

وَقَالَ پِيَّتَرُ: «قِطَارُ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ يُوْشِكُ عَلَى الْوُصُولِ! عَلَيْنَا أَنْ نُعْلِمَ الْمَحَاطَةَ، وَإِلَّا وَقَعَ حَادِثٌ رَهِيبٌ!»

قَالَتْ بَابِيُّ: «لَا يَتَسْعُ الْوَقْتُ لِذَلِكَ. مَاذَا نَفْعَلُ؟ نُلُوحُ بِرِيَّاتٍ حَمْرَاءً!» كَانَتْ بَابِي تَلْبِسُ رِداءً أَحْمَرَ اللَّوْنِ قُطْنِيًّا، فَخَلَعَتْهُ وَمَرَّقَتْهُ إِلَى سِتَّةِ أَجْزَاءٍ. وَكَانَ پِيَّتَرُ قَدْ أَعْدَّ سِتَّ عِصَمِيًّا، وَسُرْعَانَ مَا كَانَ لَدَيْهِمْ سِتُّ رِيَّاتٍ. وَوَقَفَ الْأَوْلَادُ مُسْتَعْدِينَ، وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ رِيَّاتِينِ، فِي انتِظَارِ مُرُورِ الْقِطَارِ.

كَانَتِ الْأَشْجَارُ وَالجَنَبَاتُ تُغَطِّي رَأْسَ الْجُرْفِ الصَّخْرِيِّ . وَكَانَ يَصْلُ بَيْنَ أَعْلَى الْجُرْفِ وَخَطَّ السَّكَّةِ الْحَدِيدِ مَرْضِيقٌ ذُو دَرَجَاتٍ . كَانَ الْأَوْلَادُ قَدْ وَصَلُوا إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ قِمَّةِ الْجُرْفِ عِنْدَمَا سَمِعُوا أَصْوَاتًا وَتَوَقَّفُوا يُنْصِتونَ .

جَاءَهُمْ صَوْتٌ خَشْخَشَةٌ وَحَقِيفٌ ، غَابَ هُنِيَّهَةً ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ عَادَ قَوِيًّا كَالْهَدِيرِ . وَصَاحَ پِيَّرُ : «أُنْظُرُوا إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ !»



وفي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْبَيْتِ قَالَ پِيَّرَ بِنْرَةُ اعْتِزازٍ : «نَحْنُ أَنْقَذْنَا
الْقِطَارَ !»

أَجَابَتْ بَابِي بِاسِمَّةً : «وَلَكِنَّا لَمْ نَجْمَعْ ثِمَارَ الْكَرَزِ الْبَرِّيِّ !
وَظَنَّنَا أَخْوَهَا وَأَخْتَهَا أَنَّهَا فِعْلًا آسِفَةٌ عَلَى ثِمَارِ الْكَرَزِ الْبَرِّيِّ !



تَقْدِيرًا لِلشَّجَاعَةِ

يَتَحَدَّثُ هَذَا الْكِتَابُ كَثِيرًا عَنْ بَابِي. وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ
مَزاياها الْمُحَبَّبَةُ. فَقَدْ كَانَتْ تَسْعَى دَائِمًا لِإِسْعَادِ الْآخَرِينَ. وَكَانَتْ
تَحْفَظُ السَّرَّ. فَلَمْ تُفْصِحْ قَطُّ عَنِ الْحَيْرَةِ الَّتِي كَانَتْ تُحِسِّنُ بِهَا أَمَامَ
حُزْنِ أُمَّهَا الْخَفِيِّ. وَلَمْ يَكُنْ كِتْمَانُهَا ذَاكَ شَيْئًا هَيَّنَا.

خَشِيتْ بابي أَلَا يُلْاحِظَ أَحَدٌ تِلْكَ الرَّاياتِ الصَّغِيرَةَ ، فَيَمُوتَ رُكَابُ الْقِطَارِ كُلُّهُمْ . وَسُرْعَانَ مَا سَمِعُوا هَدِيرَ الْقِطَارِ وَزَمْجَرَتَهُ ، وَرَأَوَا دُخَانَهُ الْأَبِيسَنَ يَعْلُو فِي الْفَضَاءِ .

هَتَفَ پِيَّتَرْ : «لِنَقِيفْ بِثَابِتٍ وَتَلَوْحٌ تَلْوِيحاً مَحْمُوماً !»

قَالَتْ بابي ، وَهِيَ تَرَى الْقِطَارَ يَقْتَرِبُ هادِرًا : «لَا فَائِدَةَ ، فَلَنْ يَرَوْنَا !» ثُمَّ اندَفَعَتْ رَاكِضَةً .

وَصَاحَ پِيَّتَرْ صِيَاحَ مَجْنُونٍ : «إِبْتَعِدِي عَنِ السَّكَّةِ الْحَدِيدِ .» لِكِنَّ بابي لَمْ تَبْتَعِدْ عَنِ السَّكَّةِ الْحَدِيدِ ، وَرَاحَتْ تَقْفِرُ وَتَلَوْحُ بِالرَّايتَينِ ، وَتَصْرُخُ : «تَوَقَّفْ ! تَوَقَّفْ ! أَرْجُوكَ ، تَوَقَّفْ !» وَيَدَاتْ مُقَدَّمَةُ الْقِطَارِ سَوْدَاءُ مُرْعِيَةً ، وَيَدَا صَوْتُهُ أَجَشَّ هادِرًا . لِكِنَّ ، كَانَنَا هُوَ قَدْ سَمِعَ صَرْخَةَ بابي ، فَقَدْ لُجِّمَتْ سُرْعَتُهُ فَجَاهَةً ثُمَّ جَمَدَ فِي مَكَانِهِ . أَسْرَعَ پِيَّتَرْ لِمُلَاقةِ سَائِقِ الْقِطَارِ ، بَيْنَمَا كَانَتْ بابي لَا تَزالُ تَقْفِرُ وَتَصْرُخُ وَتَلَوْحُ بِالرَّايتَينِ . وَفَجَاهَةً وَقَعَتْ أَرْضًا .

قَالَ سَائِقُ الْقِطَارِ : «أَغْمَيْتَ عَلَى الطَّفْلَةِ الْمِسْكِينَةِ !» حُمِّلَتْ بابي إِلَى مَحَاطَةِ الْقِطَارِ . وَعِنْدَمَا أَفَاقَتْ مِنْ إِغْمَائِهَا أَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ . أُسْتُقْبِلَ الْأَوْلَادُ فِي المَحَاطَةِ اسْتِقبَالَ الْأَبْطَالِ . لِكِنَّ بابي كَانَتْ مُتَبَعَّةً ، تُرِيدُ الْعَوْدَةَ إِلَى الْبَيْتِ .

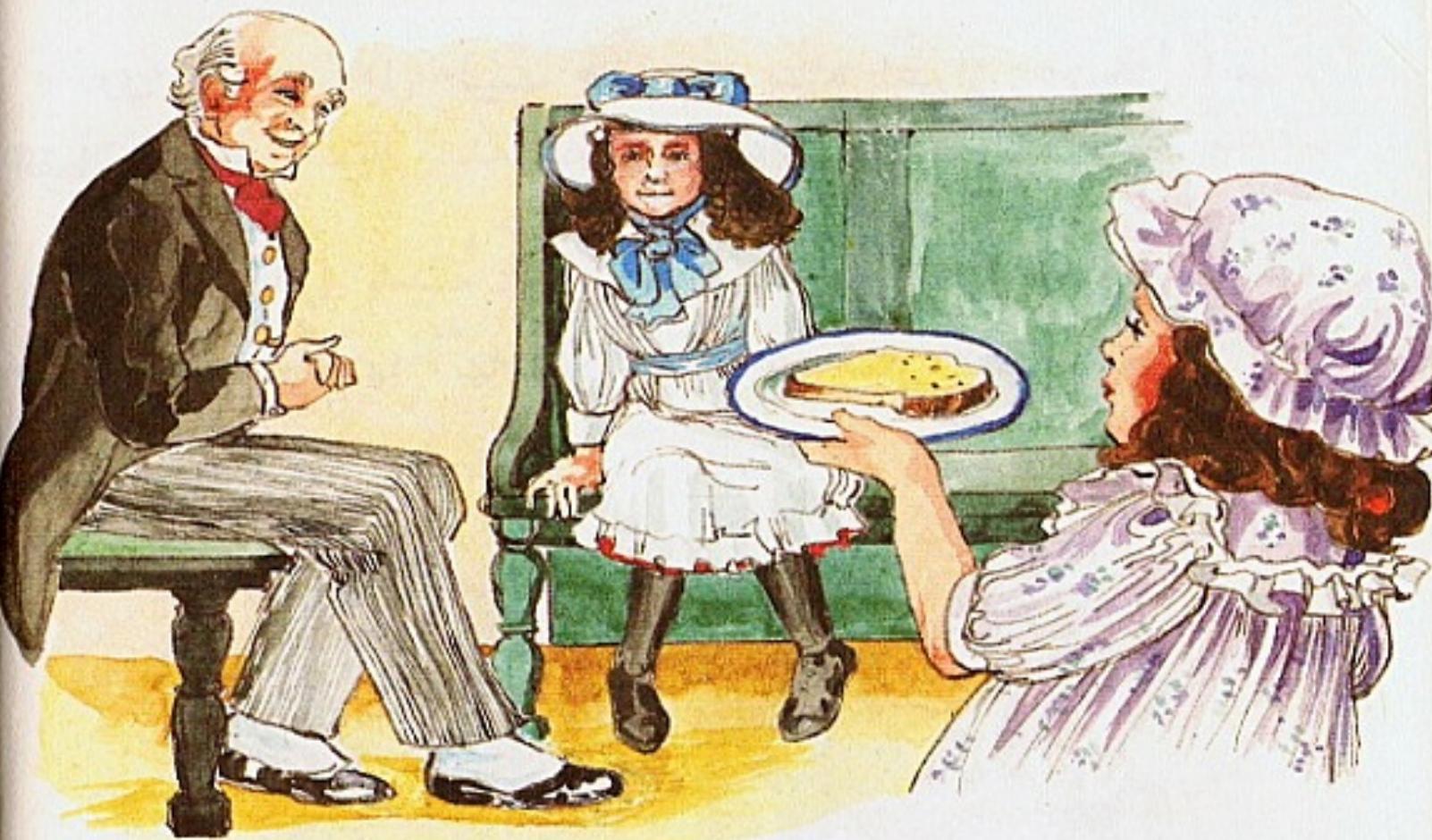
وكانَ السَّيِّدُ العَجُوزُ حاضِرًا ، فَحَدَّثَهُ بَابِي عَلَى اِنْفِرَادٍ ، وَرَوَتْ
لَهُ قِصَّةَ الكَاتِبِ الرُّوسِيِّ . أَجَابَ العَجُوزُ إِنَّهُ سَمِعَ بِالْكَاتِبِ وَقَرَأَ
آخِرَ كُتُبِهِ ، وَقَالَ :

«إِنَّهُ كِتَابٌ رَائِعٌ ! إِنَّ أَمْكِنَةَ الَّتِي اعْتَنَتْ بِهِذَا الْكَاتِبِ فِي أَثْنَاءِ
مَرَضِهِ سَيِّدَةٌ فَاضِلَّةٌ نَبِيلَةٌ .»

ثُمَّ سَأَلَ الْأَوْلَادَ عَنْ أَسْمَائِهِمْ وَطَرَحَ عَلَيْهِمْ أَسْئِلَةً أُخْرَى .
وَكَانَتْ فِي لِسَانِهِ قَدْ وَصَلَتْ حَامِلَةً فِي يَدِهَا كُوبًا عَصِيرٌ وَقِطْعَةً مِنَ
الْكَعْكِ . لِكِنَّهَا كَانَتْ حَذِرَةً فِي تَحْرُكَاتِهَا ، خَشِيشَةً تَعْثَرُهَا بِرِبَاطِ
حِذَائِهَا .

بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ ، وَصَلَ السَّيِّدُ العَجُوزُ وَالْتَّقِيُّ الْأَوْلَادَ يَلْعَبُونَ فِي
الْحُقولِ . فَقَالَ لَهُمْ : «عِنْدِي أَخْبَارٌ مُفْرِحةٌ ! وَجَدْتُ زَوْجَةَ
الْكَاتِبِ وَطِفْلَهُ . وَقَدْ جِئْتُ أَخْبِرُهُ ذَلِكَ !»

رَكَضَتْ بَابِي عَبْرَ الْحُقولِ لِتَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَنْقُلُ الْبُشْرِيِّ . أَشْرَقَ
وَجْهُ الْأُمِّ حِينَ سَمِعَتِ النَّبَأً ، وَأَسْرَعَتْ تَتَحَدَّثُ إِلَى الْكَاتِبِ
بِالْفَرْنَسِيَّةِ . قَفَزَ الْكَاتِبُ مِنْ كُرْسِيِّهِ وَهُوَ يَصِيحُ صَيْحَةً فَرَحَّ ،
وَانْحَنَى يُقْبِلُ يَدَ الْأُمِّ مُمْتَنًا . ثُمَّ غَرِقَ فِي كُرْسِيِّهِ ، وَغَطَّى وَجْهَهُ
بِيَدِيهِ ، وَأَجْهَشَ بِبُكَاءٍ خَافِتٍ .



كَانَتْ بَابِي كَذِيلَكَ تَسْعَى إِلَى مُسَاعِدَةِ النَّاسِ. أَرَادَتْ أَنْ تُسَاعِدَ الكَاتِبَ الرُّوسِيَّ لِيَعْثُرَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَابْنِهِ. فَقَرَرَتْ أَنْ تَطْلُبَ العَوْنَانَ مِنَ السَّيِّدِ الْعَجُوزِ. وَذَاتَ يَوْمٍ سَنَحَتِ الْفُرْصَةُ.

قَرَرَتْ إِدَارَةُ السَّكَكِ الْحَدِيدِ تَقْدِيمَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ذَهَبِيَّةً لِلأَوْلَادِ، تَقْدِيرًا لِشَجَاعَتِهِمْ فِي إِنْقَاذِ الْقِطَارِ. أُقِيمَ حَفْلٌ مُتَوَاضِعٌ فِي مَحَاطَةِ الْقِطَارِ، الْقَى فِيهِ بِيَتَرْ كَلِمَةً مُخْتَصَرَةً، وَقَالَ: «لَمْ نَفْعَلْ شَيْئًا يُذْكُرُ - أَوْ عَلَى الْأَقْلَلِ، إِنَّ مَا قُمْنَا بِهِ مَلَأَ قُلُوبَنَا حَمَاسَةً وَغِبْطَةً. شُكْرًا لَكُمْ جَمِيعًا!»

تَعْرِفُ ، أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ ، لِمَ فَعَلْتُ بِاَبِي ذَلِكَ . حَسِيبَتِ
الْأُمُّ أَنَّ بَابِي قَدْ ضَجَرَتْ مِنَ السَّيِّرِ الْبَطِيءِ . حَتَّى الْأُمَّهَاتُ ،
وَجِهْنَمَ أَسْمَى مِنْ كُلِّ حُبٍ ، لَا يُدْرِكُنَّ دَائِمًا حَقْيَقَةً مَا يَشْعُرُ بِهِ
الْأَوْلَادُ .

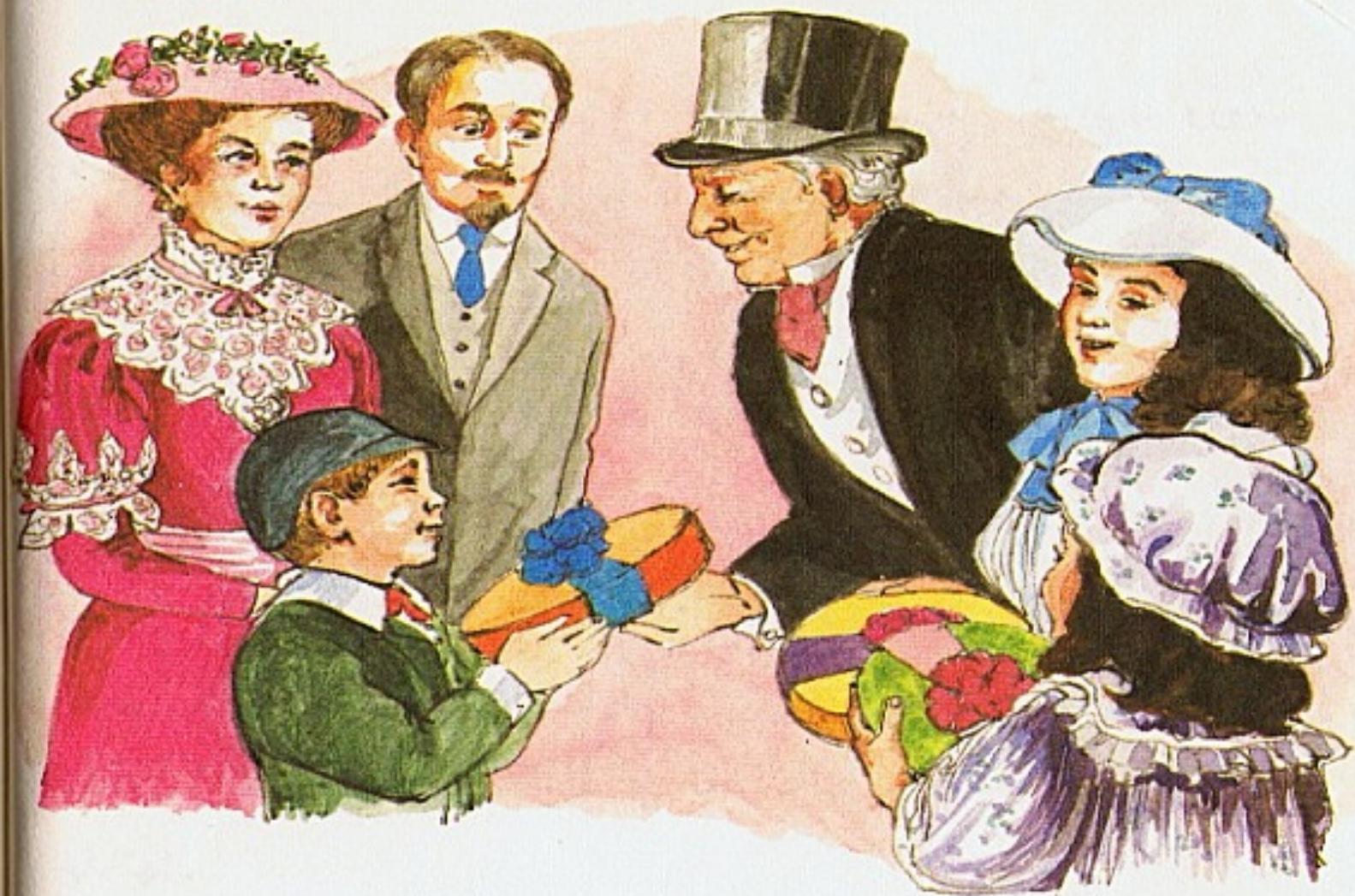
السُّرُّ الْمُرْبِعُ

ذاتَ يَوْمٍ ، حَمَلَتْ بَابِي إِلَى أُمَّهَا ، وَكَانَتْ تَكْتُبُ إِحْدَى
قِصَصِهَا ، فِنْجَانًا مِنَ الشَّايِ . التَّفَتَتِ الْأُمُّ إِلَى ابْنَتِهَا وَقَالَتْ : « يَا
ابْنَتِي ، أَنْتُمْ لَمْ تَنْسَوْا أَبَاكُمْ ، أَلَيْسَ كَذِلِكَ ؟ إِنِّي لَا أَرَاكُمْ
تَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ أَبَدًا ! »

« بَلْ نَتَحَدَّثُ عَنْهُ ، يَا أُمِّي . لَكِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ أَمَامَكِ . فَقَدْ
لَا حَظْنَا أَنَّ تَذْكِيرَكِ بِهِ يُخْرِنُكِ . »

أَجَابَتِ الْأُمُّ ، وَهِيَ تَضُمُّ ابْنَتَهَا : « لَا ، يَا حَبِيبَتِي . سَأَقُولُ لَكِ .
وَاجْهَنَا ، أَنَا وَأَبُوكِ ، مُشْكِلَةٌ خَاطِيرَةٌ مُؤْلِمَةٌ جَدًّا – أَشَدَّ خَطَرًا
وَإِيلَامًا مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ تَتَخَيَّلُوا – لَكِنَّ الْأَمْرَ سِيَكُونُ أَشَدَّ سُوءًا إِذَا
قُدِّرَ لَكُمْ ، لَا سَمَحَ اللَّهُ ، أَنْ تَنْسَوْا أَبَاكُمْ ! »

قَالَتْ بَابِي بِصَوْتٍ خَافِتٍ مُرْتَبِكِ : « كُنْتُ وَعَدْتُكِ ، يَا
أُمِّي ، أَلَا أَطْرَحَ أَسْئِلَةً ، لَكِنَّ أَلَيْسَ لِهَذِهِ الْمُشْكِلَةِ مِنْ نِهايَةٍ ؟ »



تَسْلَكَتْ بابي خارِجَةً مِنَ الغُرْفَةِ . فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّجَ عَلَى رَجُلٍ يَيْكَيْ . وَعِنْدَمَا عَادَتْ ، قَدَمَ السَّيِّدُ العَجُوزُ لِكُلِّ مِنَ الْأَوْلَادِ الْثَّلَاثَةِ عُلْبَةً كَبِيرَةً مِنَ الشَّوْكُولَاتَةِ . ثُمَّ جَمَعَ الْكَاتِبُ أَمْتِعَتَهُ الْقَلِيلَةَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى مَحَاطَةِ الْقِطَارِ ، يُرَافِقُهُ أَفْرَادُ الْأُسْرَةِ كُلُّهُمْ .

بَدَتِ الْأُمُّ ، فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْبَيْتِ ، حَزِينَةً مُتَعَبَّةً . وَذَكَرَتْ فِيلِسْ أَنَّ طِفْلَ الْكَاتِبِ ، لَا بُدَّ قَدْ كَبَرَ مُنْذُ رَأَهُ آبُوهُ آخِرَ مَرَّةً . وَقَالَتْ : « تُرِى هَلْ يَجُولُ فِي خَاطِرِي أَبِي أَنِّي كَبِرْتُ؟ »

أَسْرَعَتْ بابي تَقُولُ : « تَعَالَى نَتَسَابِقُ ، يَا أَنْتَ !

تعلقتْ عَيْنَاها بِعُنوانٍ في الجَرِيدَةِ - وَتَرَاءَى لَهَا أَنَّهَا فِي كَابُوسٍ مُرْبِعٍ . قَرَأَتْ مَا كَانَ مَكْتُوبًا ، لَكِنَّ آخِرَ الْخَبَرِ كَانَ مُمَزَّقًا . وَلَمْ تَعْرِفْ كَيْفَ وَصَلَتِ الْبَيْتَ . دَخَلَتْ غُرْفَتَهَا ، وَأَقْفَلَتِ الْبَابَ وَرَاءَهَا ، وَأَعْادَتْ قِرَاءَةَ الْخَبَرِ . كَانَ وَجْهُهَا يَلْتَهِبُ ، لَكِنَّ يَدَيْهَا كَانَتَا بَارِدَتَيْنِ كَالْجَلِيدِ .

تَمَمَّتْ : «الآنَ عَرَفْتُ !

كَانَ الْخَبَرُ يَتَحَدَّثُ عَنْ صُدورِ الْحُكْمِ فِي إِحْدَى الْقَضَايَا ، وِإِدَانَةِ الْمُتَّهَمِ ، وَالْحُكْمُ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ خَمْسَ سَنَوَاتٍ ، مَعَ الْأَشْغَالِ الشَّاقَةِ .

هَمَسَتْ بِحُرْقَةٍ : «آهِ يا أَبِي ! غَيْرُ صَحِيحٍ ! لَا أُصَدِّقُ ذَلِكَ ! أَنْتَ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا ! أَبَدًا ، أَبَدًا !»

بَعْدَ حِينٍ سَمِعَتْ طَرْقًا عَلَى بَابِ غُرْفَتِهَا ، وَجَاءَ صَوْتُ فِيلِسِ قَائِلًا : «تَعَالَى ، الْعَشَاءُ جَاهِزٌ !»

سَعَتْ بِاِبِي جَاهِدَةً ، فِي أَثْنَاءِ الْعَشَاءِ ، أَلَا تَنْفَجِرَ بِاِكِيَّةً ، وَادَّعَتْ أَنَّ عِنْدَهَا صُدَاعًا . ثُمَّ صَعِدَتْ بَعْدَ الْعَشَاءِ إِلَى غُرْفَةِ أُمِّهَا .

لَمْ تَكُنْ تَعْرِفْ كَيْفَ تَبْدِأُ كَلَامَهَا . فَأَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ مُرَدَّدَةً اسْمَ أُمِّهَا ، مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ . ضَمَّتْهَا أُمُّهَا إِلَى صَدْرِهَا ، وَانتَظَرَتْ . أَخِيرًا أَخْرَجَتِ الفتَاهُ قُصَاصَةَ الْجَرِيدَةِ وَأَشَارَتْ بِإِصْبَاعِهَا إِلَى اسْمِ أَبِيهَا .



قالت الأم : « بل ستتهي ، يا حبيبي ، بعوده أبيك إلى البيت . والآن ، على أن أعود إلى عملي . » ثم ضمت ابنتها ضمه شديدة ، قائلة : « لا تذكري شيئاً من ذلك لاختك وأخيك . »

كان الأولاد في اليوم التالي يعشبون الحديقة . وحدث أن وقع بيتر على مشط التعشيب وجراح قدمه .. وكان عليه أن يقيم في البيت إلى أن يشفى . ذهب بي إلى ناظر المحطة ، وسألته أن يسمح لها باخت بعض المجالات والجرائد التي يتركها الركاب ليتسلى أخوها بقراءتها والتفرج عليها . أعد الناظر عدداً من المجالات والجرائد ولفها كلها بجريدة قديمة ، وأعطها لبابي .

اتفق أن قطاراً كان يقترب ، فوقفت بابي تنتظر مروحة . فجأة

أجابت الأم : «لن يُنْصِتَ إلينا أحدٌ . حاولتُ كثيراً . ليس لنا الآن ، يا حبيبي ، إلا الشجاعةُ والصبرُ والصلادةُ .»

بعد أسبوع كتبت بابي رسالةً إلى صديقها العجوز تخبره كل شيء . أرسلت له أيضاً قصاصةَ الجريدة . وقالت : «فَكَرْ كَيْفَ يَكُونُ شُعُورُكَ ، لَوْ كَانَ الْمَسْجُونُ أَبَاكَ . أَرْجُوكَ ، أَرْجُوكَ سَاعِدِيَ ! سَأَظَلُّ دَائِمًا صَدِيقَكَ الصَّغِيرَةَ الْمُخْلِصَةَ الْمُحِيَّةَ .»



شَهَقَتِ الْأُمُّ قَائِلَةً : «آهِ يَا ابْنَتِي ! أَنْتِ لَا تُصَدِّقِينَ أَنَّ أَبَاكِ فَعَلَ ذَلِكَ ، أَلَيْسَ كَذِلِكَ؟» هَفَّتْ بَابِي بِمَا يُشْبِهُ الصَّيَاخَ : «لا !» وَعَادَتِ الْأُمُّ تَقُولُ : «نَعَمْ ، ذَاكَ غَيْرُ صَحِيحٍ . رَمَوْهُ فِي السَّجْنِ ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُذَنبٍ .»

«لِمَ لَمْ تُخْبِرِنِي ؟»

«أَسْتَخْبِرُنِي أَخْتَكَ وَأَخَاهُ ؟»

«لا !»

«لِمَاذَا ؟»

«لِآنَ...» لَكِنَّ بَابِي تَوَقَّفَتْ عَنْ إِبْدَاءِ السَّبِيلِ ، بَعْدَ أَنْ فَهَمَتْ مَا رَمَتْ إِلَيْهِ أُمُّهَا .

قَالَتِ الْأُمُّ عِنْدَئِذٍ : «تَامَّا . فَهِمْتِ الآنَ لِمَ لَمْ أُخْبِرُكِ . عَلَيْنَا ، أَنْتِ وَأَنَا ، أَنْ نَتَعَاوَنَ لِنُحَافِظَ عَلَى شَجَاعَتِنَا .»

ثُمَّ قَالَتْ لَهَا : «إِنَّ الرَّجُلَيْنِ الَّذَيْنِ جَاءَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَطْلُبَانِ أَبَاكِ كَانَا قَدْ جَاءُوا لِاعْتِقَالِهِ . فَقَدْ وُجِدَتْ فِي حَوْزَتِهِ أُوراقٌ تَدِينُهُ بِتُهْمَةِ بَيعِ أَسْرَارٍ وَطَنِيَّةٍ لِدَوْلَةٍ أَجْنبِيَّةٍ . لَمْ يَكُنْ أَبُوكِ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ تِلْكَ الْأُوراقِ ، وَارْتَابَ فِي أَنَّ مُسَاعِدِهِ حَاسِدًا مِنْ مُسَاعِدِيهِ قَدْ دَسَ تِلْكَ الْأُوراقَ فِي جَيْهِ طَمَعًا بِوظِيفَتِهِ . لَكِنَّهُ كَانَ يَفْتَقِرُ إِلَى الدَّلِيلِ .»

«أَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَشْرَحَ هَذَا الْأَمْرَ لِلْمَسْؤُلِينَ ؟»

رَأَى الْأَوْلَادُ مِنْ مَكَانِهِمُ الْمُشْرِفُ الْفَتَى الَّذِي يُمَثِّلُ الطَّرِيدَةَ
يُقْبِلُ رَاكِضًا . وَكَانَ وَلَدًا قَوِيًّا الْجَسْمُ كَسْتَنَائِيَ الشَّعْرُ ، يَحْمِلُ عَلَى
كَتِيفِهِ مَحْفَظَةً مَمْلُوءَةً بِقُصَاصَاتِ وَرَقٍ . وَكَانَ يَنْتَرُ فِي طَرِيقِهِ شَيْئًا مِنْ
تِلْكَ الْقُصَاصَاتِ ، لَيَتْرُكَ أَثْرًا يَقْتَفيهِ الْأَوْلَادُ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ كِلَابَ
الصَّيْدِ . وَسُرْعَانَ مَا دَخَلَ فُتْحَةَ النَّفَقِ .

ثُمَّ وَصَلَ الْفِتَيَانُ الْمُطَارِدُونَ رَاكِضِينَ ، وَأَوْصَلَتْهُمْ قُصَاصَاتُ
الْوَرَقِ إِلَى النَّفَقِ فَاخْتَفَوْا فِيهِ . وَكَانَ آخِرُ الْفِتَيَانِ الْمُطَارِدِينَ يَلْبِسُ
جَرْسَةً حَمْرَاءً .

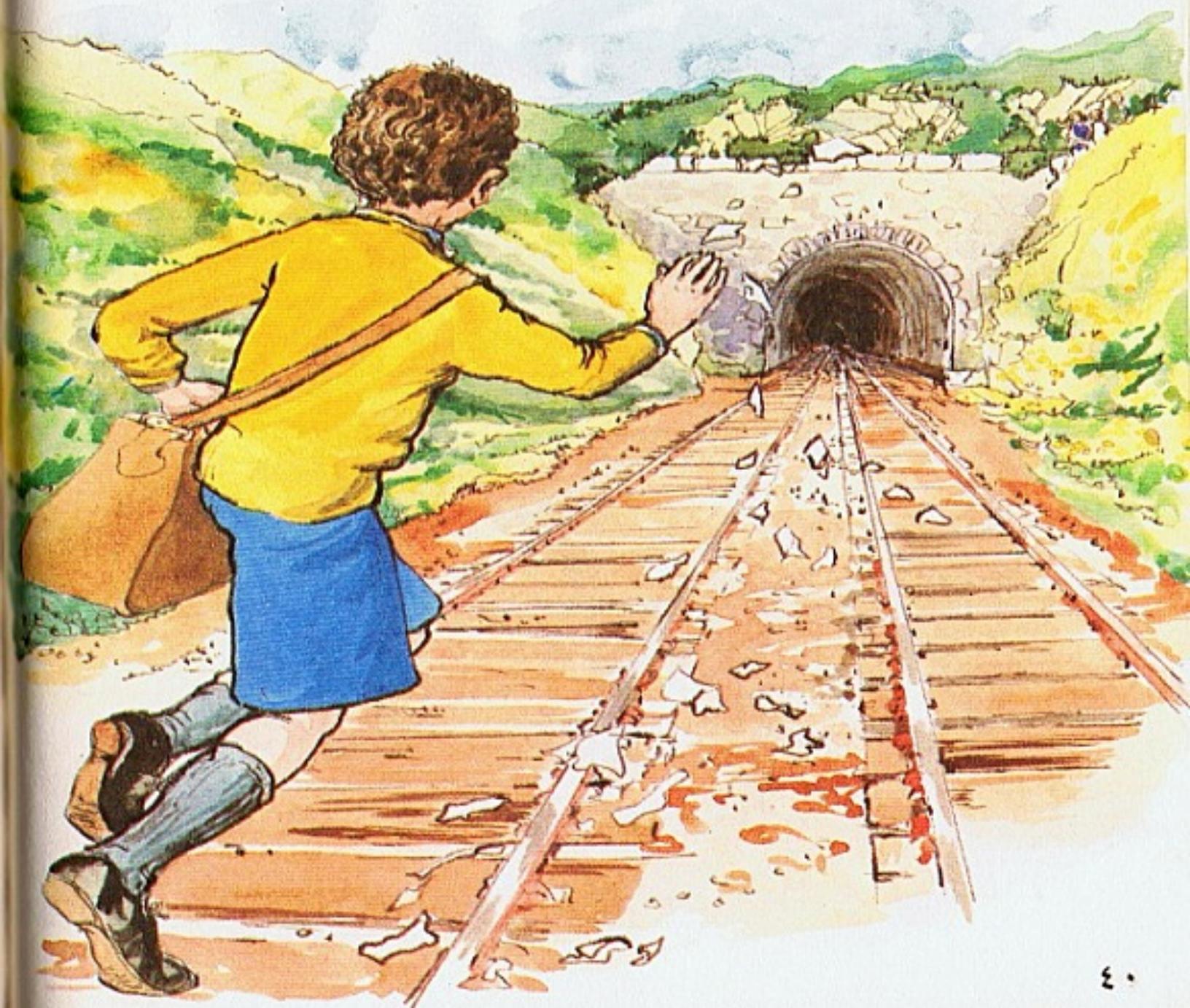
رَكَضَ الْأَوْلَادُ الْثَلَاثَةُ عَبَرَ قِمَةَ الْجُرْفِ لِيُشَاهِدُوا الْفِتَيَانَ عِنْدَ
خُروجِهِمْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلنَّفَقِ . وَبَعْدَ وَقْتٍ غَيْرِ قَصِيرٍ ، أَطْلَلَ
الْفَتَى - الطَّرِيدَةُ يَدْفَعُ نَفْسَهُ لَاهِثًا . ثُمَّ أَطْلَلَ الْفِتَيَانُ - الْمُطَارِدُونَ
مُتَبَعِينَ مُتَبَاعِدِينَ ، لَا يَتَحَرَّ كُونٌ إِلَّا يُبْطِئُ شَدِيدًا .

قَالَ پِيَرَ بَعْدَ حِينَ : « ذُو الْجَرْسَةِ الْحَمْرَاءِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ النَّفَقِ .
أَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ . لِيَنْبَحِثُ عَنْهُ ، فَالْقِطَارُ يَمْرُ
قَرِيبًا . »

إِنْطَلَقُوا نَاحِيَةَ النَّفَقِ . وَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمْشُوا فِي مَمَّ حَصْبَائِيَ
ضَيقَ بَيْنَ خَطَ السَّكَّةِ الْحَدِيدِ الْبَرَاقِ وَجِدارِ النَّفَقِ . وَكَانَ الْجِدَارُ
الْمُخْضَرُ يَقْطُرُ ماءً لَزِجًا وَسِخًا . بَدَأَتْ أَصْوَاتُ الْأَوْلَادِ جَوْفَاءَ ، وَرَاحَ
الظَّلَامُ يَشْتَدُّ فِي عُمْقِ النَّفَقِ . فَأَشْعَلَ پِيَرَ شَمْعَةً كَانَتْ فِي جَيْهِ .

ذو الجَرْسَةِ الْحَمْرَاءِ

كانَ بعْضُ طلّابِ المَدْرَسَةِ الْمُتوَسِّطَةِ قدِ اتَّفَقُوا أَنْ يَخْرُجُوا ، فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِيلْعَبُوا لِعْبَةَ الطَّرِيدَةِ وَكِلَابِ الصَّيْدِ . وَأَرَادَ الْأَوْلَادُ الْثَّلَاثَةُ أَنْ يَتَفَرَّجُوا عَلَى الْلَّعْبَةِ فَصَعِدُوا إِلَى قِمَةِ الْجُرْفِ الصَّخْرِيِّ ، حَيْثُ تُتَاحُ لَهُمْ مُشَاهَدَةً رُقْعَةً وَاسِعَةً مِنَ الْبَرِّيَّةِ .





صاحتْ فيليس في فَزَعٍ : «أَهُوَ مَيْتٌ؟»
 أَجَابَ بِيترَ : «لا ، إِنَّهُ مُغْمَى عَلَيْهِ فَقَطُّ .» ثُمَّ أَسْرَعَ يَفْرُكُ يَدَيِ
 الفتى . وَرَشَّتْ فيليس عَلَى جَبَهَتِهِ حَلِيبًا مِنَ الزُّجاَجَةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُهَا
 لِلنُّزُهَةِ .

قَالَتْ بَابِي : «أَرْجُوكَ ، اسْتَيْقِظْ ، كَلْمَنِي !» لَطَالَما كَانَتْ قَرَأتْ
 هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي الْكُتُبِ ، حَتَّى حَفِظَتْهَا .

ثُمَّ سَمِعُوا طَنِينًا يَأْتِيهِمْ مِنْ جِهَةِ قُضْبَانِ السُّكَّةِ الْحَدِيدِ .
«هَذَا قِطَارٌ !»

«أَيُّ اِجْهَارٍ؟»

قَالَتْ فِيلِيس مَذْعُورَةً : «أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ !»
قَالَتْ بَابِي : «لَا تَكُونِي خَوَافِفَةً ! أَنْتِ هُنَا فِي أَمَانٍ !» وَدَفَعَ پِيَرَ
أَخْتِيهِ إِلَى تَجْوِيفِ رَطْبِ حَالِكٍ فِي الْجَدَارِ . ثُمَّ أَقْبَلَ الْقِطَارُ يَهْدُرُ
هَدِيرًا مُرْعِيًّا ، وَيَدَتْ عَيْنَاهُ التَّنَسِّيَّاتِ النَّارِيَّاتِ تَزَدَادَانِ ، فِي كُلِّ
لَحْظَةٍ ، اتَّقَادًا وَسُطُوعًا .

وَالآنَ ، اندَّفَعَ الْقِطَارُ يَمْرُ بِمُحَاذَاتِهِمْ مُرْوِرًا خَاطِفًا ، وَأَحْسَوْا بِهِ
يَكَادُ يُلَامِسُهُمْ . اصْطَخَبَ الْقِطَارُ بِهَدِيرٍ مُرْعِيٍّ ، وَتَتَابَعَتْ أَصْوَاءٌ
شَبَابِيكِهِ تَخْطِفُ الْأَبْصَارَ ، وَامْتَلَأَ الْجَوَّ الْخَانِقُ بِرَائِحةِ الدُّخَانِ ،
وَعَصَفَتْ هَبَّةً مِنَ الْهَوَاءِ السَّاخِنِ مَدِيدَةً طَاغِيَّةً ، وَتَرَدَّدَتْ أَصْدَاءُ
رَنَينِ وَطَنِينِ وَقَرْقَعَةِ وَهَدِيرٍ بَيْنَ أَرْضِ النَّفَقِ الْمُرْتَجِفَةِ وَسَقْفِهِ الْقَنْطَرِيِّ .

هَتَّفَ الْأَوْلَادُ كُلُّهُمْ بِصَوْتٍ خَافِتٍ مَكْتُومٍ : «آهٍ !»

وَقَالَتْ فِيلِيس بِخَوْفٍ : «أَتَرَاهُ كَانَ فِي طَرِيقِ الْقِطَارِ؟»

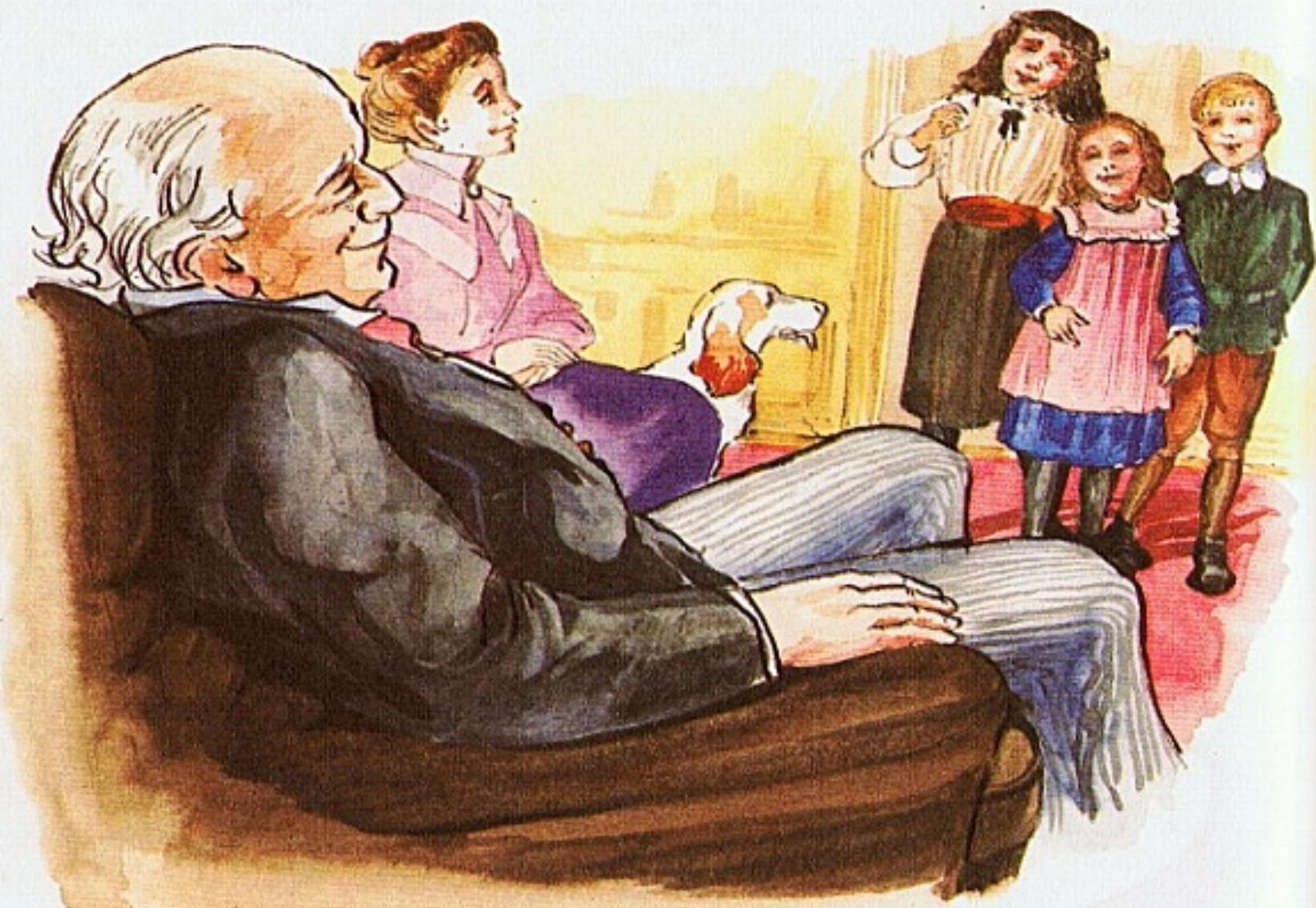
قَالَ پِيَرَ : «عَلَيْنَا أَنْ نُتَابِعَ طَرِيقَنَا وَنَرَى .»

رَأَوْا ، بَعْدَ نَحْوِ الْمِئَةِ مِتْرٍ ، بَصِيصًا مِنْ لَوْنٍ أَحْمَرَ . وَهُنَاكَ وَجَدُوا
ذَا الْجَرْسَةِ الْحَمْرَاءِ مُمَدَّدًا عَلَى الْأَرْضِ فَوْقَ الْخَطِّ الْآخِرِ لِلْقِطَارِ .

خاطبَ بِيَتَرْ أُمَّهُ بِصَوْتٍ كُلُّهُ رَجَاءً قائلًا : « هَلْ تَسْمَحِينَ أَنْ يُقِيمَ الْفَتَى مَعَنَا إِلَى أَنْ تَتَحَسَّنَ سَاقُهُ ؟ نُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا رَفِيقًا تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ! »

أَجَابَتِ الْأُمُّ : « سَنَرِى . » كَانَ الْفَتَى يَتِيمًا ، يَعِيشُ مَعَ جَدِّهِ ، وَكَانَتِ الْمَدْرَسَةُ تُؤْشِكُ أَنْ تُقْفِلَ أَبْوَابَهَا فِي فُرْصَةِ الْأَعْيَادِ . فَرَأَتِ الْأُمُّ أَنْ تُحَدِّثَ الْجَدَّ بِالْأَمْرِ .

أَتَحْزِرُ مَنْ كَانَ جَدُّ الْفَتَى ؟



ضَيْفٌ آخَرُ

أَخِيرًا تَنَهَّدَ الفتى ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ : «مَاذَا حَدَثَ؟»

«إِشْرَبْ!»

«مَا هَذَا؟»

قالَ پيتَر : «هَذَا حَلِيبٌ». لَا تَخَفْ ، فَإِنَّمَا يَعْلَمُ أَصْدِقاَةً !
قالَ الفتى ، وَهُوَ يَئِنُّ : «أَظُنُّ أَنَّ سَاقِيَ مَكْسُورَةً . وَقَعَتْ عَلَى
خَضِيبِ السَّكَّةِ الْحَدِيدِ . كَيْفَ وَصَلْتُمْ أَنْتُمْ إِلَى هُنَا؟»

أَجَابَ پيتَر بِاعْتِزَازٍ : «رَأَيْنَاكَ تَدْخُلُ النَّفَقَ وَلَمْ نَرَكَ تَخْرُجُ مِنْهُ ،
فَدَخَلْنَا بِحَثْ ثَعْنَكَ . نَحْنُ فَرِيقٌ إِنْقَادٍ !»

قالَ الفتى ، وَهُوَ يَعُودُ إِلَى إِغْمَاضِ عَيْنَيْهِ : «أَنْتُمْ شُجَاعَانْ !»

أَسْرَعَ پيتَر وَفِيلِيس يَطْلُبَانِ النَّجْدَةَ ، بَيْنَمَا آثَرَتْ بَابِي الْبَقاءِ مَعَ
الفَتَى - الْمُطَارِدِ . وَبَدَا لَهَا الْوَقْتُ طَويِّلاً ، فَأَمْسَكَتْ يَدَهُ
لِيَطْمَئِنَّ ، وَفَكَّتْ رِبَاطَ حِذَائِهِ لِتُخَفَّفَ مِنْ أَذْى وَرَمِ سَاقِهِ . ثُمَّ
جَاءَتِ النَّجْدَةُ مِنْ مَزَرَعَةِ قَرِيبَةٍ ، وَحَمَلَ الرِّجَالُ الفتى إِلَى المَنْزِلِ
الْعَالِي ، فَوْقَ التَّلَّةِ .

ظَنَّتِ الْأُمُّ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، مِمَّا سَمِعَتْ ، أَنَّ أَوْلَادَهَا جَاؤُوا إِلَى
الْمَنْزِلِ بِكَلْبٍ حَقِيقِيٍّ ، ثُمَّ رَأَتْ أَنَّ الْكَلْبَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فَتَّى .

السَّيِّدُ الْعَجُوزُ لِرُؤْيَا حَفِيدِهِ ، وَتَكَلَّمُ مَعَ بَابِي حَوْلَ رِسَالَتِهَا إِلَيْهِ ،
وَقَالَ :

«رَاجَعْتُ قَضِيَّةَ أَبِيكَ فِي الصُّحُفِ ، فَنَشَأَ عِنْدِي إِحْسَاسٌ
بِبَرَاءَتِهِ . وَعِنْدَئِذٍ بَدَأْتُ بَعْضَ التَّحَرِّيَاتِ وَالْمُرَاجِعَاتِ . إِنَّ لِي
آمَالًا ! لَكِنْ حَافِظَي عَلَى سِرِّنَا لِحِينٍ ! لَا تُقْلِقِ أُمَّكِ بِأَمَالٍ قَدْ تَكُونُ
خَادِعَةً .» وَسَوَاءً أَكَانَتِ الْأَمَالُ خَادِعَةً أَوْ غَيْرَ خَادِعَةٍ فَقَدْ أَضَاعَتْ
وَجْهَ بَابِي الصَّغِيرَ كَمَا تُضِيءُ شَمَعَةً فِي قِنْدِيلٍ .

تَعَلَّمَ الْفَتَى لُعْبَةَ الشَّطَرْنجِ ، وَأَخَذَتْ سَاقُهُ تَتَحَسَّنُ يَوْمًا بَعْدَ
يَوْمٍ . كَانَتِ الْحَيَاةُ فِي الْمَنْزِلِ الْعَالِي هَادِيَةً لَطِيفَةً . لَكِنَّهَا كَانَتْ
تَمْيِيلٌ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الرَّتَابَةِ . فَقَدْ صَارَ الْأَوْلَادُ يَقْضُونَ مُعْظَمَ أَوْقَاتِهِمْ
فِي الْمَنْزِلِ ، وَقَلَّتْ زِيَارَاتُهُمْ لِمَحَاطَةِ الْقِطَارِ . إِنَّمَا لَمْ يَنْقَطِعوا أَبَدًا
عَنِ التَّلْوِيعِ لِقِطَارِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ وَتَحْمِيلِهِ جَهَنَّمَ لِوَالِدِهِمِ الْغَايِبِ .

قَالَتْ بَابِي حَالِمَةَ : «لَيْتَ الزَّمَانَ يُسْعِدُنَا بِعَضِ مُدْهِشَاتِهِ !»
وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ تَحَقَّقَتِ الْأُمُّيَّةُ .

كَانَ فِي الْمَنْزِلِ الْآنَ خَادِيمَانِ يَقْوِمَانِ بِالْأَعْمَالِ الْمَنْزِلِيَّةِ كُلُّهَا .
وَبَدَا الْيَوْمُ الَّذِي وَصَلَّ فِيهِ الْأَوْلَادُ إِلَى هُنَاكَ وَأَحْرَقُوا قَاعَ الْإِبْرِيقِ ،
بَعِيدًا جَدًا . كَانَ الشَّهْرُ آنَذَاكَ شَهْرَ أَيُّولُ (سِبْتَمْبَر) ، وَكَانَ الْعُشْبُ
جَافًا قَصِيفًا .

نعم ، كانَ السَّيِّدُ العَجُوزُ نَفْسَهُ ، صَدِيقُ الْأَوْلَادِ ! رَأَى العَجُوزُ أَنَّ الْأُمَّ لَا تَسْتَطِعُ إِعَاةَ الْفَتَى أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الَّذِينَ قَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَى عِنَاءِيَةِ وَالَّذِينَ تَتَطَوَّعُ الْأُمُّ لِمُسَاوِدَتِهِمْ ، فَأَرْسَلَ لَهَا خَادِمَيْنِ يُسَاوِدُاهَا وَكَمِيَّاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الطَّعَامِ ، وَعَيْنَ لَهَا رَاتِبًا مُنَاسِبًا لِتَكُونَ مَسْؤُلَةً عَنْ مُسْتَوْصَفِ الْمَتَرِّلِ الْعَالِيِّ .

نَشَّأَتْ صَدَاقَةٌ قَوِيَّةٌ بَيْنَ بَيْتَ وَالْفَتَى . وَلَمْ يَنْسَ الْفَتَى عَطْفَ بَابِي عَلَيْهِ عِنْدَمَا كَانَ مُلْقَى فِي نَفَقِ الْقِطَارِ ، وَامْتَدَحَ شَجَاعَتَهَا . وَجَاءَ



سَأَلَّ بِيْتَرْ قَائِلًا : «وَلِمَ يَفْعُلُ ذَلِكَ؟»
«لَا أَدْرِي ، لَكِنِّي أَحِسْ أَنَّ مُفاجَاهَةً فِي انتِظارِنَا !»

وَظَلَّ هَذَا الإِحْسَاسُ الْغَرِيبُ يُرَاوِدُ بَابِي طِيلَةَ الصَّبَاحِ ، فَعَزَّمَتْ عَلَى أَنْ تَذْهَبَ إِلَى مَحَاطَةِ الْقِطَارِ . فِي الطَّرِيقِ حَيَاهَا عَدَدٌ مِنَ الْقَرَوِيَّينَ بِحَرَارَةِ . وَضَمَّنَتْهَا مُؤَظَّفَةُ الْبَرِيدِ الْعَجُوزُ وَقَبْلَتْهَا قَائِلَةً : «بَارَكَكِ اللَّهُ ، يَا ابْنَتِي !»

وَقَالَ لَهَا الْحَدَّادُ : «صَبَاحُ الْخَيْرِ ، يَا آنِسَتِي ! وَأَسْعَدَ اللَّهُ أَوْقَاتِكِ !»

وَشَدَّ نَاظِرُ الْمَحَاطَةِ عَلَى يَدِهَا بِقُوَّةِ ، وَقَالَ : «قِطَارُ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ سِيَّئَةَ خَرُّ قَلِيلًا .» وَحَتَّى قِطَطُ الْمَحَاطَةِ بَدَا وَكَانَهُ يُبَالِغُ ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي التَّقْرِبِ مِنْهَا وَالتَّمَسُّحِ بِسَاقِهَا .

وَكَانَتْ بَابِي تَسْأَلُ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ التَّرْحَابِ الَّذِي تُقَابِلُ بِهِ أَيْنَما تَوَجَّهَتْ . ثُمَّ خَرَجَ أَخِيرًا عَامِلُ الْمَحَاطَةِ يَحْمِلُ فِي يَدِهِ جَرِيدَةً ، وَقَالَ : «يَحْقُّ لِي وَاحِدَةً ، يَا آنِسَتِي ، فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ !» ثُمَّ انْحَنَى وَقَبَّلَ وَجْهَتِهَا .

سَأَلَتْ بَابِي فِي حَيَّرَةٍ : «وَمَا حِكَايَةُ هَذَا الْيَوْمِ؟» لَكِنْ قَبْلَ أَنْ تُتَاحَ لِلْعَامِلِ فُرْصَةُ الإِجَابَةِ ، وَصَلَّ قِطَارُ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ يَهْدُرُ وَيَزْعَقُ وَيَنْفُثُ دُخَانًا .



قالَ پِيَرِ لِأَخْتِيهِ : «عَجَّلا ! وَإِلَّا فَاتَنَا قِطَارُ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ .» وَتَعَثَّرَتْ فِيلِس ، فِي أَثْنَاءِ رَكْضِهِمْ ، بِرِبَاطِ حِذَائِهَا . لَوَّحَ الْأَوْلَادُ بِمَنَادِيَهُمْ لِلقطَارِ الْعَابِرِ وَقَفَزُوا وَصَاحُوا : «بَلَغَ حُبَّنَا لِأَبِينَا !»

لَوَّحَ العَجُوزُ بِجَرِيَّتِهِ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ دَائِمًا . لَكِنْ ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، رَاحَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي القِطَارِ يُلَوَّحُونَ ، فَامْتَدَّتْ مِنَ الشَّبَابِيكِ أَيْدِي وَمَنَادِي وَصُحْفٌ ! مَرَّ القِطَارُ بِمُحَاذَةِ الْأَوْلَادِ مُرْوَرَةً الْخَاطِفَ ، وَالْتَّفَتَ الْأَوْلَادُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ . قَالَ پِيَرَ : «غَرِيبٌ !» وَقَالَتْ بَابِي : «عَجِيبٌ !» وَقَالَتْ فِيلِس : «غَرِيبٌ عَجِيبٌ !»

بَدَا لِلْأَوْلَادِ كَأَنَّ الْحَيَاةَ دَبَّتْ فَجْأَةً فِي القِطَارِ . وَقَالَتْ بَابِي : «كَأَنَّ السَّيِّدَ العَجُوزَ أَرَادَ أَنْ يَلْفِتَ اِنْتِباَهَنَا إِلَى الْجَرِيَّةِ الَّتِي كَانَ يُلَوَّحُ بِهَا .»

دَخَلَ الْأَبُ وَأَقْلَ الْبَابَ وَرَاءَهُ . أَظُنُّ أَنَّ مِنَ الْلَايْقِ الْآنَ أَلَا
نَدْخُلَ الْبَيْتَ ، وَأَنْ نُسْرِعَ فِي الْإِنْسِحَابِ بِهُدُوٍّ . وَعِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى
طَرَفِ الْحَقْلِ الْمَكْسُوِّ بِالْعُشْبِ وَالْأَزْهَارِ الْبَرِّيَّةِ ، لَا بَأْسَ أَنْ نَلْتَفِتَ
إِلَى الْبَيْتِ الْوَادِعِ ، حَيْثُ لَا مَكَانَ الْآنَ إِلَّا لِلْأُسْرَةِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ
بَعْدَ طُولِ فِرَاقٍ .



لَا شَكَّ أَنْكَ تَعْرِفُ مَا كَانَ سَيَحْدُثُ ، لِكِنَّ بَابِي كَانَتْ مُضْطَرِّبَةً فَلَمْ تَحْزِرْ . بَدَتْ مُتَلَهَّفَةً ، مُرْتَبَكَةً ، وَمُتَشَوَّقَةً لِمَعْرِفَةِ مَا خَفِيَ عَنْهَا .

لَمْ يَنْزِلْ مِنْ قِطَارِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ فِي تِلْكَ الْمَحَاطَةِ إِلَّا ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ : زَوْجَهُ مُزَارِعٌ تَحْمِلُ سَلَةَ فِرَاخٍ ، وَامْرَأَةٌ تَحْمِلُ بِضْعَ رِزْمٍ ، وَشَخْصٌ ثَالِثٌ - ؟

رَعَقَتْ بَابِي بِصَوْتٍ جَارِحٍ : «أَبِي ! أَبِي !» اخْتَرَقَ الصَّوْتُ أَفْئِدَةَ الرُّكَابِ كَالسَّكِينِ . أَخْرَجُوا رُؤُوسَهُمْ فَرَأُوا رَجُلًا طَويَّالًا نَحِيلًا شَاحِبَ الْوَجْهِ ، وَقَدْ تَعَلَّقَتْ بِهِ فَتَاهَةً صَغِيرَةً وَلَفَتْ حَوْلَهُ ذِرَاعِيهَا وَسَاقِيهَا ، وَاحْاطَهَا هُوَ بِذِرَاعِيهِ يَضْمُمُهَا ضَمًّا شَدِيدًا .

فِي طَرِيقِهِمَا إِلَى الْبَيْتِ ، قَالَ الْأَبُ : «إِسْبِقِينِي إِلَى الْبَيْتِ ، يَا بَابِي . وَأَسِرِي لِأَمْكِنْ أَنِي عُدْتُ ، وَأَنَّ الْأُمُورَ عَلَى مَا يُرِامُ . لَقَدْ أَمْسَكُوا بِالْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ . وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ يَعْرِفُونَ الآنَ أَنَّ أَباكِ بَرِيٌّ .»

قَاتَ بَابِي : «كُنْتُ أَعْرِفُ دَائِمًا أَنَّكَ بَرِيٌّ . وَكَذِلِكَ أُمِّي وَالسَّيِّدُ الْعَجُوزُ كَانَا يَعْرِفَانِ !»

وَهَكَذَا سَبَقَتْ بَابِي أَبَاها ، وَأَخْبَرَتْ أُمَّهَا أَنَّ زَمَانَ الْحُزْنِ وَالْخُوفِ وَالْفِراقِ قَدْ وَلَى ، فَقَدْ عَادَ الْأَبُ إِلَى بَيْتِهِ .

تسعى مكتبة لبنان من خلال هذه السلسلة إلى تعريف الفتى العربي بروائع الأدب العالمي ، وإعداده للدخول ، فيما بعد ، في عالم القصص الخالدة من بابه الواسع . إننا نعتقد أنَّ من حقِّ أبنائنا أن يكونوا فكرة صحيحة شاملة عن نتاج القصص الذائعة الصيت في مختلف أصقاع الأرض .

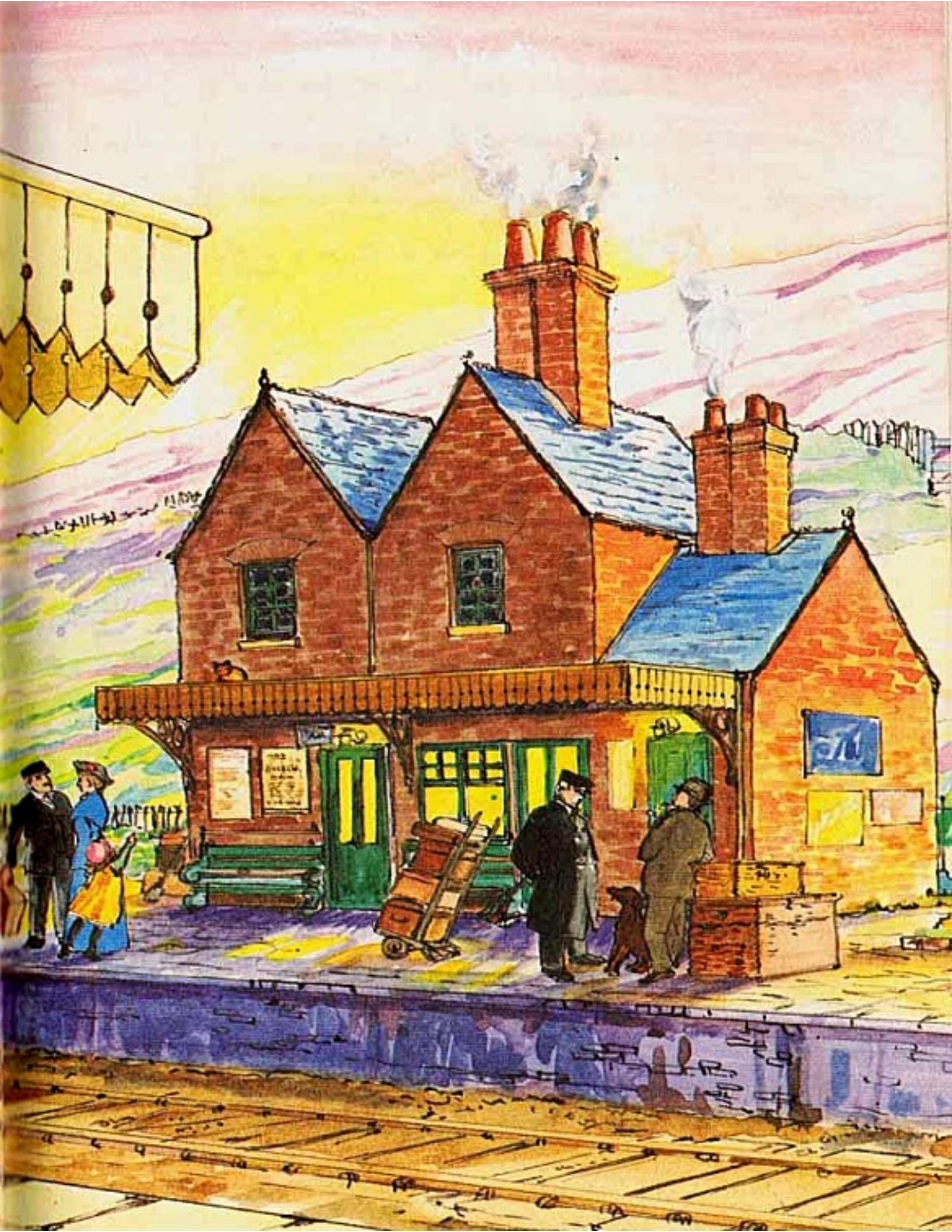
على أننا نثق أنَّ هذه القصص تصلح ، بالشكل الذي نقدمها فيه ، للكبار أيضاً . لأننا حرصنا على ألا ننتقص من جوهر الفكرة التي يقوم عليها العمل ومن بناء الشخصيات كما أرادها المؤلفون .

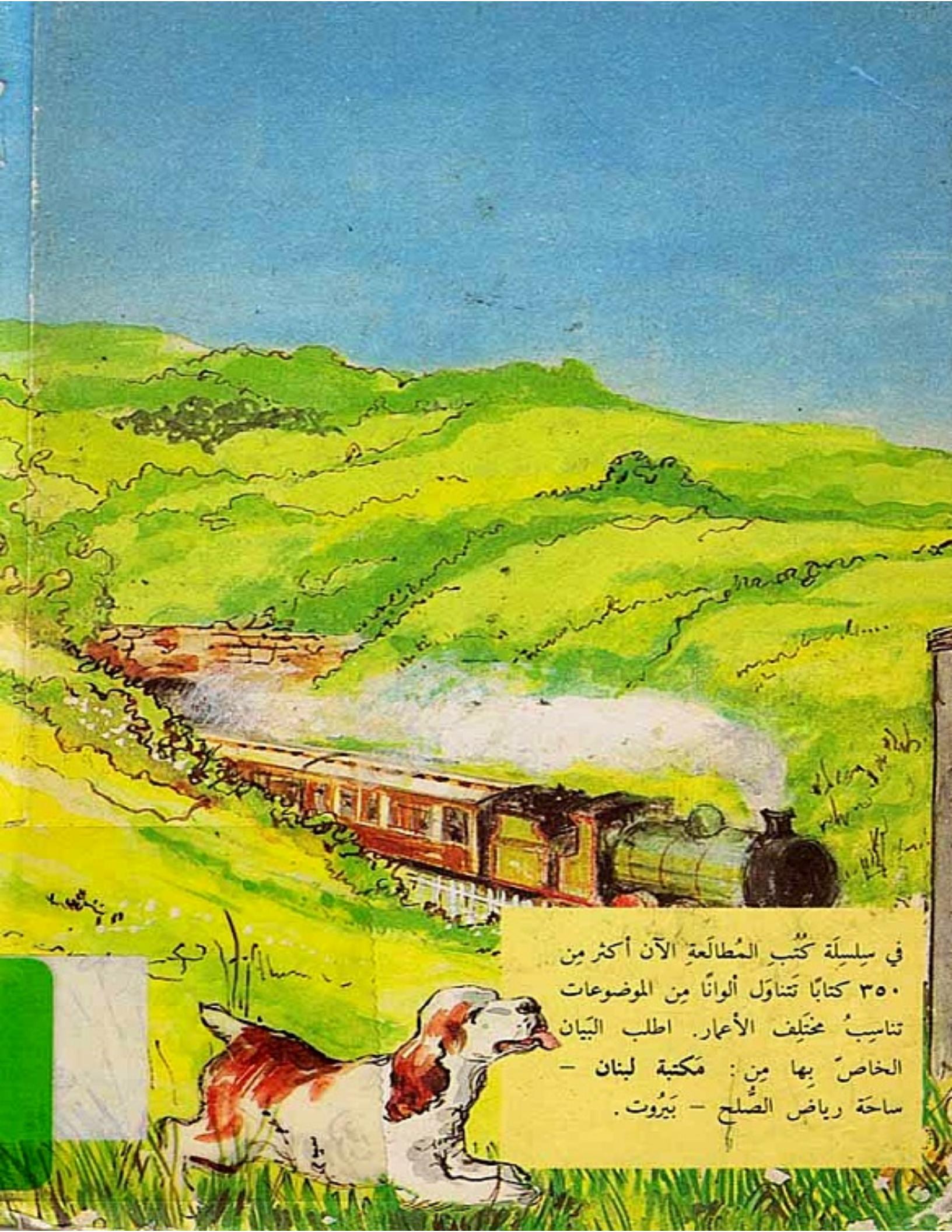
وحرصنا على المحافظة على عناوين الكتب الأصلية وكذلك على أسماء العلم والأماكن ، كما وردت في الأصل ، رغبةً في إعطاء صورة حقيقية عن الجُمُور العام للقصص ، من حيث المكان والأوضاع الاجتماعية والأحداث التاريخية ، وخدمة للهدف الذي نسعى إليه وهو تمهيد الطريق للتعرف إلى الأدب العالمي . على أننا تجنبنا الخوض في تفاصيل الأسماء التي لا تتعلق مباشرة بصلة الموضوع ولا توثر على سير الأحداث ، وذلك لكي لا نربك القارئ العربي بأسماء ثانوية الأهمية ، غربية اللفظ قليلة التواتر .

وتمتاز هذه القصص كلها بأنها شديدة التشويف ، وتقوم في غالبيها على المغامرات المثيرة . وأكثر هذه القصص المختارة كتب أصلاً لترضي جمهور الشباب ، وهي من هذه الناحية ترضي مشاعرهم ومبادئهم وحبّهم للانطلاق واكتشاف المجهول .

إنَّ هذه القصص جميعها ، وإنْ تكون في غالبيها تقوم على حبِّ المغامرة ، تتناول أصدق المشاعر الإنسانية ، وتصور كفاح الإنسان لتحقيق مُثُلَّه العليا دون أن يعبأ بالتصحيحات .

وزُوِّدت كتب السلسلة جميعها بمعقدمات تعرف بالمؤلف كما زوِّدت برسوم ملونة رائعة تضفي جوًّا من السحر على أحداث القصص ، وتصور الخلفيات الاجتماعية والتاريخية أصدق تصوير .





في سلسلة كتب المطالعة الآن أكثر من
٣٥٠ كتاباً تتناول ألوانًا من الموضوعات
تناسب مختلف الأعمار. اطلب البيان
الخاص بها من: مكتبة لبنان -
ساحة رياض الصلح - بيروت.



هذا العمل هو لعشاق الكوميكس ، و هو لغير أهداف ربحية ولتوفير المتعة الأنثوية فقط ، الرجاء حذف هذا العدد بعد قراءته ، و ابتكاع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها...

This is a Fan base production , not for sale or ebay , please delete the file after reading, and buy the original release when it hits the market to support its continuity